٨٣

مقامات المقربين

فضيلة الشيخ
فوزي محمد أبوزيد

دار الإيمان والحياة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾

المؤلف	الشيخ فوزي محمد أبوزيد
الطبعة	١٧ أبريل ٢٠١٤م، ١٧ جمادى
رقم	الكتاب ٨٣ من المؤلفات المطبوعة
سلسلة	دراسات صوفية معاصرة
داخلى	عدد ١٦٠ صفحة، مقاس : ١٤
غلاف	كوشيه لميع ٣٠٠ جرام
تحت إشراف	دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ ، المعادى، القاهرة، ج م ع، ت:
رقم إيداع	٢٠١٤/٨٤٨٣
رقم إيداع	978-977-90-1624--5
طبع	مطابع النوبار بالعبور

مقدمــــــة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وفق وأعان وكشف عن أولياءه وأحبابه كل غين وران ورفعهم إلى أعلى درجات القرب من حضرة الرحمن.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي اكرمه الله ﷻ بالبيان وكرمه بالعيان وجعله هاديا لكل بني الإنسان وشفيعاً في القيامة لكل مذنب وحيران صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الحسان وأصحابه الذين حملوا عنه خير بيان وكل من اهتدى بهديه وسار على نهجه إلى يوم الدين آمين يا رب العالمين وبعد،

فإن من إكرام الله ﷻ لعباده المؤمنين أنه ﷻ يرفعهم عنده درجات كلما أنابوا إليه وأكثروا من عمل الصالحات ويثبتهم على الاستقامة على هذه الأعمال الصالحة ويجمل لهم النيات حتى تصير أرواحهم ترتقى دوما في مقامات القرب عند الله ﷻ في مقام العندية، أو معه سبحانه وتعالى:

بلا كم ولا كيف ولكن	بأنوار تعالت معنوية

في مقام المعية الإلهية أو في حضرة اللدنية حيث يتلقون شفاها وكفاحاً أسراره ﷻ الوهبية ﴿ وَعَلَّمۡنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمًا ﴾ (٦٥ الكهف)

ويصطفى الله ﷻ أفرادا من عباده ينقلهم من مقام المخلصين إلى مقام المُخلصين ﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾ (٤٠ الحجر)،

ومن مقام المحبين إلى مقام المحبوبين، ومن مقام المريدين إلى مقام المرادين، ويجعلهم ﷻ هم الدرجات التى يعتليها ويصل إليها ويقف عندها المقربين ليتأهلوا منهم وعلى أيديهم للقرب من حضرة رب العالمين ويقول الله ﷻ في شأنهم ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ (١٦٣ آل عمران)، فلم يقل لهم درجات عند الله، وإنما هم أي أنفسهم القدسية هي الدرجات التى يستشرفها المريدين فيتأهلوا لرفيع الدرجات.

هذا وقد بينا بعض درجات المقربين التى يمرون بها في سلوكهم وسيرهم إلى الله ﷻ ليعمل بها العاملون ويمشي على هداها السائرون فيصلون إلى مقام يقال لهم ﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ (٥٨ العنكبوت)، ووضحنا هذه المقامات على حسب ما تستوعبه القلوب وما تستكنهه الصدور.

أما المقامات العلية الوهبية للمرادين والمحبوبين فتُتَلقى بالأذواق القلبية من الله ﷻ مباشرة أو على يد حبيبه ومصطفاه ﷺ لأنها مواهب ذاتية وأسرار لأهل الخصوصية لا ينبغي أن تنكشف لأهل الأغيار ولا ينبغي أن يطلع عليها غير السالكين نهج الصادقين الأبرار.

أسأل الله ﷻ أن يجعلنا من عباده الأخيار الأطهار وأن يواجهنا بمعاني غيبه ويتفضل علينا بأسرار قدسه ويرزقنا صحيح العبودية وخالص التوحيد لحضرة الألوهية والصدق التام في متابعة النبي المصطفى خير البرية وأن ينظمنا دوما في هذه المعية ولا يشغلنا عنها طرفة عين ولا أقل في الدنيا الدنية ولا زهرتها وشهواتها الجلية والخفية حتى نكون من المواجهين لحضرته في الدار الأخروية والمجاورين لحبيبه ومصطفاه ﷺ في الدار الجنانية.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وكل السائرين على طريقته الراضية المرضية وعلينا معهم أجمعين.

الجميزة – مركز السنطة الغربية

في يوم السبت ٢١ من جمادى الأولى ١٤٣٥هـ، الموافق ٢٢ من مارس ٢٠١٤م



العنوان البريدى : الجميزة ـ محافظة الغربية

موقع الإنترنت

www.fawzyabuzeid.com :

البريد الإليكترونى :

fawzy@fawzyabuzeid.com, fawzyabuzeid@hotmail.com,
fawzyabuzeid@yahoo.com,
fawzyabuzeid48@gmail.com

تمهيد

الوصول بحفظ الأصول، أصول الوصول، صحبة الصادقين، أوصاف المتحابين في الله، الصحبة لله، البذل، العمل لله، لقاء الإخوان، أسرار المجالسة للصادقين

الفصل الأول: بين التوكل والتواكل

آثار السلبية والتواكل، حقيقة التوكل، التوكل والعمل، التربية الإلهية للمجتبين، التوكل والأسباب، بداية الصحوة، التوكل والادخار

الفصل الثانى: الزهد والزاهدون

دلائل الصدق، علامات اليقين، الزهد، ثمار الزهد،مقام المراقبة

الفصل الثالث: مقام الخُلَّة

مقام الخليل، تعلق القلب بالله، حقيقة الإنسان، التقصير مقام العارفين، سر الخُلَّة، اخلاص العمل لله، الصدق، عناية الله، مقام اليقين، علامة أهل الخلة، الخُلُق الكريم

الفصل الرابع: الفتح الإلهي

الكرامة الحقة، عطاءات الصالحين، موانع العطاء، عبادةالتفكر، طيب الكلام، القلب السليم،أوراد المقربين، الوصول، السفر إلى الله، ياقوت العرش

الفصل الخامس: أهل غنائم الفتح الإلهي

بين المجاهدين في سبيل الله والمجاهدين في ذات الله، غنائم الله، أوصاف أهل الغنائم، الفقراء إلى الله، دوافع الحب لرسول الله ﷺ، الثناء والدعاء للسابقين، سعة الصدر للمعاصرين، لفضيل بن عياض

تمهيد

الوصول بحفظ الأصول

أصول الوصول

صحبة الصادقين

أوصاف المتحابين في الله

الصحبة لله

البذل

العمل لله

لقاء الإخوان

أسرار المجالسة للصادقين

تمهيـــــــد

الوصول بحفظ الأصول[1]

آفة الآفات في هذا العصر، إن كان في سلوك طريق القوم، أو كان في الوصول إلى الله، أو كان في انتظام الحياة الاجتماعية والأُسرية بدون مشاكل، أو كان في أى بند يتعرض له الإنسان في دنياه، أو يحاول أن يعمله لينجح في أخراه ... آفة الآفات تضييع الأصول !!! ولذلك كان سلفنا الصالح ﷺ يقولون:

(إنما حُرِموا الوصول بتضييع الأصول).

الله ﷻ أصَّلَ كل شيء في قرآنه، والنبي ﷺ أصَّلَ كل شيء في بيانه القولي والعملي، وكان سر نجاح سلفنا الصالح في مجتمعاتهم وفي حياتهم وفي أسرهم وفي كل شيء لهم أن الأصول ثابتة، لأنها واردة عن الله، ومُبينة وموضحة من رسول الله ﷺ.

جئنا في هذا العصر وتفنن الناس في إضاعة الأصول، وظن كل فرد أنه مجتهد إذا خرق الأصول، وجاء بأصول ليست مُبينة في كتب الأصول، فضاعت الأصول، فتاهت الأخلاق، وتاهت العادات، وتاهت السلوكيات، وضل الناس الطريق والعياذ بالله ﷻ.

كان الناس فيما مضى إذا حدث أى اختلاف يرجعون بسرعة إلى من يُطالبهم بالصلح، وقواعد الصلح كان متعارف عليها بين الأنام، لأنها على الأسس التي جاء بها القرآن، وبينها الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فكان إذا حدث خلاف – على سبيل المثال – بين ولد وأبيه، أو ولد وأمه، أى محكمين، وأى مصلحين، وأى متداخلين كانوا يبدأون دائماً: الكبير كبير والصغير عليه أن يحترم الكبير ويعتذر للكبير، وكان هذا هو الأصل، فكان الأمر يتم بمنتهى السهولة، وترجع الأمور إلى مجراها، لأن الكبير أشد حُنُواً وعطفاً وشفقة على الصغير من الصغير على نفسه، وإذا حزن منه فلأنه يفعل ما ليس في مصلحته.

---

[1] المعادي – الخميس ٢٦ من ذي الحجة ١٤٣٥هـ ٢٠١٣/١٠/٣١م

لكن وجدنا في هذا الزمان من تقول له: ارض أمك، فيرفض، ويطلب أن تعتذر هي، وإلا فسيقاطعها!! وقس على ذلك بقية الأمور، ما الذي حدث؟ ضاعت الأصول، فكيف لأهل الأصول أن يقيموا الأصول بهذه الكيفية؟! فاختلت الحياة.

الله ﷻ أنزل في قرآنه عُمُد إصلاح الأحوال الاجتماعية والأسرية بين البشرية.

هذه العُمُد إذا اختلت تغيرت أحوال البشرية، كما حدث الآن، حتى أصبحنا لا نرى من الذي على صواب، ومن الذي على خطأ، لأن كل فرد له رأيه، وكل فرد له وجهة نظره، وكل فرد يسارع ليثبت أنه على الحق، وأن الآخر ولو كان أباً أو أماً أو أخاً أكبر أو غيره هو الذي على الخلاف، بل لا يكتفي بذلك، فبعضهم ربما يُشنع في موقف لا يحتاج إلى مثل هذه الأمور ... !!!!

فاختلط الحابل بالنابل وضاعت الأصول.

مثال آخر:

كنا ندخل المساجد فنجد الناس لا يختلفون، فالأولى بالإمامة فلان إذا حضر، وإذا لم يحضر نقدم جميعاً فلاناً بلا خلاف، وهكذا، وهذه قواعد ثابتة مؤصلة في الشرع في شروط الإمامة ..

إلى أن صرنا نرى الآن من يتقدم للإمامة وليس فيه أى شرط من هذه الشروط، وإذا تحدث معه أحد يواجهه بما يكرهه، ويحدث لجاجاً وجدالاً وهذه سمة العصر، الناس العوام المسالمون يُؤثرون الراحة ويرضون، وإن كان هذا في غير محله ولا موضعه لقول الحبيب ﷺ:

{ تَخَيَّرُوا لإِمَامَتِكُمْ }[2]

وقس على ذلك، فكل ما نراه في مجتمعنا الآن سببه الأساسي إضاعة الأصول.

---

٢ مسند الربيع لابن حبيب

أصول الوصول

أراد كثير من الناس في هذا العصر أن يحصلوا على كل شيء بسماعة التليفون، ولو حتى الوصول إلى الله ﷻ، لكن هل هذا الأصل الذي كان عليه الحبيب ومن معه وسلفنا الصالح؟ نسأل كتاب الله أولاً: ما الأصل يا رب لمن أراد الوصول؟

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾

واتق الله أى اجتهد في كل الطاعات والقربات التي تُكسبك الخوف من الله، وخشية الله جل في علاه، من قيام ليل، ومن صيام نهار، ومن تلاوة قرآن، ومن أذكار، ومن صلاة على النبي المختار، ومن استغفار، ومن إطعام للطعام، ومن إلقاء للسلام، ومن خدمة للفقراء والمساكين والأيتام ... كل الأعمال، وبعد ذلك:

﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (١١٩ التوبة).

صحبة الصادقين

أى إذا أردت أن يرتفع شأنك، ويرفع الله حالك، ويُنوه الله ﷻ بك وبأمثالك، لا بد لك من مجالسة الصادقين، وللدليل على ذلك نأخذ موقفاً واحداً من مواقف المجالسين للصادق الوعد الأمين ﷺ.

مَن كان يُجالس حضرة النبي ﷺ من صحبه الكرام .. كان النبي ﷺ حتى وهو في مكة يؤاخي بينهم، لأن الطريق إلى الله لا بد له من الإخاء، لماذا؟

كانوا يتناوبون مع بعضهم، بعضهم يجلس مع رسول الله ﷺ، والبعض يذهب إلى عمله ويقضي مصالحه، ويتناوبان، ويأتي هذا إلى رسول الله، ويذهب الآخر إلى عمله، ولهم ساعة يجلسون معاً فيها يعملون بقوله ﷺ:

{ أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ } [٣]

فيسترجعا معاً ما سمعاه من آيات الله، وما استمعا إليه من حديث رسول الله، وما رأته عيناهما من العمل والهيئة التي كان عليها حبيب الله ومصطفاه وصحبه البررة الكرام، ويعينان بعض في وضع الخطط التي ينالون بها رضاء الله.

وفي هذا تعليم للشورى، فيأخذ رأى أخيه في تقسيم الليل، أو ما الباب أو الكتاب الذي يبدأ به العلم؟ وإذا أراد الجهاد فيسأل أخاه عن الجهاد الذي يرشحه له، وهذا كان هَدْى الله:

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ (١٣ الواقعة) جماعة وليس واحد، وكل أخ يعين أخيه من باب، فيكتملوا، ويُصبحوا على قلب رجل واحد تقي نقي، وعلى الصدق وعلى الصواب.

---

٣ صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد

ولا ينشد أحدهم رئاسة على الآخرين، ولا يحاول أحدهم أن يُظهر ويبين أنه أعلم من إخوانه الجالسين، أو أنه أكثرهم دراية، أو أنه أَلَمَّ بالعلم منهم، بل كان كل واحد منهم يظن الخير في إخوانه أجمعين، ويعتقد تمام الاعتقاد أنه يُكرَم بسر هؤلاء الذين يُجالسهم، وقال لهم ﷺ حتى يقيم لهذا الشأن أمراً عندهم:

{ فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضُعَفَائِكُمْ }[٤]

فكانت هذه سُنَّة رسول الله ﷺ مع صحبه البررة الكرام.

وحتى يُحببهم حضرة النبي في هذا المنهج الجلي ... بيَّن أن هذا هو الذي يبلغ أعلى المقامات وأرفع الدرجات في الآخرة عند رفيع الدرجات ﷻ، قال ﷺ:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَاعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ ﷻ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللَّهِ! انْعَتْهُمْ لَنَا يَعْنِي: صِفْهُمْ لَنَا، فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ، لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللَّهِ وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللَّهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }[٥]

٤ **سنن الترمذي وأبي داود عن أبي الدرداء** ﷺ

٥ **مسند الإمام أحمد والبيهقي عن أبي مالك الأشعري** ﷺ

الأنبياء يتمنون المنزلة والمكانة الكريمة التي فيها هؤلاء القوم:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة)

هؤلاء القوم بينهم مودة بدون قرابة في الشجرة الأولى وهي الأب والأم، ولا في العائلة وهي الرحم، ولا شركة بينهم، ومن بيان الإضافة في هذا المجال للعلم أن هؤلاء أرفع قدراً وأعلى منزلة من الذين نعتقد فيهم أنهم هم الأعلى، وهم المعنيون بقول حضرة النبي:

{ سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ }[٦]

لكن هؤلاء القوم قدام العرش، لذلك فهم الأعلى منزلة لأنهم في المواجهة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (القيامة).

وهذه التي قال فيها ﷺ:

{ إِنَّ أَوْثَق عُرَى الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللَّهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللَّهِ }[٧]

المجالسة والمؤانسة لله وفي الله.

---

٦ الصحيحين البخاري ومسلم

٧ مسند الإمام أحمد والبيهقي عن البراء بن عازب ﷺ

أوصاف المتحابين في الله

وبيَّن ﷺ أن الله ﷻ أوجب على هؤلاء الجلوس إذا انطبقت فيهم هذه الأوصاف التي سنذكرها أن يُحبهم الله ﷻ، فقال ﷺ فيما يرويه عن ربه:

{ وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ }[8]

لأن النبي ﷺ علَّم أصحابه الكرام أنهم إذا اجتمعوا كانوا كما قال قائلهم: (كانوا إذا اجتمعوا لم يقوموا إلا على ذواق) شيء يذوقوه كمشروب أو فاكهة أو طعام، وذلك حتى يتمرنون على البذل والإيثار:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (٩الحشر)

هذه الأُخُوَّة لا بد لها من هذه الشروط الأربعة:

أن تكون في الله ولله، لا لمصلحة دنيوية عاجلة، ولا لمآرب فانية، وإنما كلها لوجه الله، وهذا هو الشرط الهام.

إذا كانت لدنيا دنية، أو لشهوات فانية سيكون مصيرها إلى الزوال، ولذلك قال العارفون: (ما كان لله دام واتصل وما كان لغير الله انقطع وانفصل) فالصحبة إذا كانت لمصلحة ستنقطع الصحبة بعد انقضاء المصلحة، لكن إذا كانت الصحبة لله، فإنها ستدوم في الدنيا والآخرة وفي الجنة إن شاء الله.

---

٨ مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن معاذ بن جبل ﷺ

الصحبة لله

فشرطها الأول أن تكون لله وفي الله وابتغاء وجه الله جل في علاه، وإذا حدث مصلحة لا بأس، لكن بشرط أن المصالح لا تقطع ما بيننا من ذكر وعمل صالح.

لكن لا يجب أن أجعل شرط عدم قضاء المصلحة المقاطعة، لأن الصحبة في هذه الحالة لا تكون لله ...!

مثلاً لو تقدمت للزواج من ابنة فلان ورفضت، هل هذا يؤدي إلى المقاطعة؟ لا، لأن هذا الأمر قابل للموافقة وللرد، أو رأيت أن فلاناً معه مال، وأنا محتاج للمال فسألته قرضاً، وهو عنده مصالح مقدمة لا يستطيع تأخيرها، فرفض إعطائي القرض؟ هل أقاطعه؟ لا يجب أن أقاطعه، أو أُشنع عليه، أو أتجهم في وجهه وأريه أني غير راض عنه، لأن هذا أمر دنيوي لا يؤثر بيننا.

ما بيننا أثمن وأعلى وأغلى وأبقى، لأن الذي بيننا الله ورسوله، وهل هناك شيء يساوي الله ورسوله؟!! لا، وأُعلم هذا الأمر لمن معي من أهلي، لأنهم قد يضطروني لاتخاذ موقف لا أرضاه، وهذه مسئوليتي لأنني لم أعلمهم من البداية أن صحبتنا هذه لله.

البذل

كلنا ننفذ سُنَّة رسول الله، فلا نفترق إلا على ذواق، وقد يحدث لمن جاء متأخراً أن لا يكون له نصيب في الذواق، هل هذا الأمر يُحزنه؟! لا، ولا يحكي لزوجته هذا، لأنه لا شأن لها بهذا الأمر، ولكن أنقل لها الجميل الذي يقال في هذا المقام، كأن أقول لها: قيل لنا في العلم كذا، قيل لنا في السُنَّة كذا، كان من الأسئلة التي تستطيعي أن تستفيدي منها كذا والإجابة كذا ... لكن لا أحكي الشكليات، لأن هذا الأمر هو الذي قطع حبال المودة بين الأهل والأحباب.

أخ يزور أخاه في الله ويأخذ معه زيارة له، وعندما يعود تسأله زوجته: ماذا أكلت؟ وماذا صنعوا لك؟ فيحكي لها، فلا يعجبها ذلك الأمر، فتحذره من زيارة هؤلاء مرة أخرى، وتشنِّع عليهم، هل هذا الكلام في الإسلام؟! لا، لأني ذاهب لله، وإذا أخذت شيء معي فهو لله، ولا أنتظر رداً ولا شكراً، ففى (٩ الإنسان):

﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾

وإذا ذهبت لصلة الرحم، وقدموا لي طعاماً، آكله وأقول الحمد لله، وأفعل كما كان يصنع رسول الله فأُحَسِّن لهم طعامهم، سيدنا رسول الله دعته امرأة فقيرة وقدمت له خلاً وخبزاً، فأكل ﷺ، وجبر خاطرها، وشرح صدرها، وسرَّها وقال:

{ نِعْمَ الْإِدَامُ الْخَلُّ }[٩]

وكان ﷺ من عادته كل يوم جمعة أن تدعوه امرأة من الأنصار هو ومن معه بعد صلاة الجمعة للغذاء، وكان الغذاء عبارة عن السلق، وكان ﷺ يُثني عليها هو ومن معه ليُعلمهم الآداب الإسلامية

---

٩ صحيح مسلم وسنن الترمذي عن عائشة رضي الله عنها

العمل لله

نحن نتعامل لله، فإذا زرت يكون لله، وإذا أهديت يكون لله، وإذا قدمت خير يكون لله، وإذا قدمت أى معروف يكون لله ... لا أنتظر جزاءاً من أحد من خلق الله، لا أنتظر إلا من الله، والله قال في كتابه:

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (٣٠ الكهف)

إذاً الدنيا الدنية وشهواتها الفانية، ومصالحها البالية لا تؤدي إلى القطيعة، أو إلى حتى تقليل الرغبة في اللقاء والمودة بين المتآخين في الله ﷻ، لأنهم تآخوا في الله، وتوافقوا فيما بينهم على أن يكون كل أمرهم لحضرة الله جل في علاه.

قد يكون هناك أخ كبير في السن، وله أخ شاب، فيريد منه أن يخدمه، هذا على حسب وقته واستطاعته، وليس فريضة عليه، فإن أدَّى خدمة فبها ونعمت، وأدعوا له الله وأشكره عليها، وإن لم يؤدي أُقدم له العذر، لا بد أنه مشغول بكذا، أو عنده كذا، أو أنه مهموم بأمر كذا، فالمؤمن الذي لا يعذر إخوانه لا تدوم أُخُوته مع أحد قط، لأن أساس دوام الأُخُوة العذر.

المبدأ الذي علَّمه لنا مولانا الشيخ محمد علي سلامة ﷺ: (من حضرنا شكرناه ومن غاب عنا عذرناه) من لم يحضر لا بد أن مانعاً قوياً منعه، فأدعوا الله ﷻ أن ييسر له أمره، وأن يُفرج له كربه إن كان في كرب، لكن لا أوبخه، حتى ولو بالمزاح، لأنه لا يجوز المزاح في ذلك، لأن القلوب كما قيل:

إن القلوب إذا تنافر ودها	مثل الزجاجة كسرها لا يُجبر

قلوب الأحباب مثل الزجاج القابل للكسر، لذلك تحتاج إلى معاملة رقيقة، فيها شفقة وعطف وحنان، ولا يصلح معها الشدة:

﴿ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ ﴾ (٢٩الفتح)

هذه الصداقة هي الأساس الأول في طريق الله، وأنا أقول هذا الكلام لأن ما سرنا عليه – والحمد لله – في بداية طريقنا غير ما نرى أحوال إخواننا عليه الآن، فلا أرى من يتصادق مع أخيه، أو يتجالسا، أو يتعرفا على أحوال بعضهما، أو يشتركا في التشاور في الأمور المهمة إن كانت دنيوية أو أسرية أو أخروية، حتى من باب اكتساب الخبرات، فمثلاً رجل متزوج وله خبرة وحياته مستقرة، وأنا متزوج حديثاً وحياتي فيها تنغيص، فمجالستي له تُكسبني خبرته في الحياة.

لقاء الإخوان

وطريق الله لا يكون إلا بقول الله:

﴿ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ (١١٩ التوبة) لا بد من مجالسة الصادقين، وهذا هو السر الذي جعل الصالحين يجعلون كل قوم قريبين من بعضهم في المسكن لا بد أن يجتمعوا معاً، ويتجالسوا معاً ويتزاوروا معاً، ويتوادوا معاً من أجل هذا الأمر.

قد يكون بعضنا الآن في بعض الأماكن يجتمعون مرة في الأسبوع لكنها على سبيل العادة وليست العبادة، وإذا فتحوا في الكلام تكلموا في ما لا يسر، بل يضر، كالسياسة وغيرها، لكن هل فتحوا في سيرة رجل من الصالحين قرأوا عنه، فقد كنا نفعل ذلك، هذا قرأ كتاب عن سيدي أحمد البدوي، وآخر قرأ كتاب عن سيدي إبراهيم الدسوقي، وكل أخ يعرض ما قرأه، فنكون قد حصَّلنا عدة كتب في جلسة واحدة، أو أنا قرأت في الهجرة كذا، وآخر قرأ في الهجرة كذا، فنحيط بالهجرة من جميع جوانبها في جلسة واحدة، واتفقنا على أن لا يكون حديث بيننا في أمور الدنيا الدنية إلا برهة أو لحظة ثم نخرج إلى الدار الآخرة، والدنيا رواء ظهورنا.

كفانا الدنيا في العمل وفي الشارع، وفي كل مكان، لكن نريد مكان نستشعر به روائح الآخرة، نريد واحة وسط صحراء المادة نرى فيها خضرة الجنة، ونرى فيها أذكار أصحاب الهمم العلية والمنة، وهذا يكون في لقاء الإخوان، ولذا كنا نقول: (لقاء الإخوان يُذهب الأحزان).

عندما تأتي هموم الدنيا ومشاغلها ومشاكلها، وتكاد تقصم ظهره من الذي يتعرض له في عمله، أذهب للإخوان، وبمجرد أن أجلس معهم ويبدأ الحديث في آية من كتاب الله، أو حديث عن رسول الله، أو في سيرة أصحاب النبي الكريم، أو في بعض مسالك السلف الصالح، يزول الهم، وينتهي الغم ، ويأتي الروح والريحان، فكأن مجالس الإخوان فيها طاقة من الروح والريحان تأتي لنا من الجنان، فيخرج الإنسان من الجلسة مسرور وجزلان، ويعيش في حياة هانئة مستقرة، راضياً فيها عن الحنان المنان، ومطمئن إلى منهج النبي العدنان صلوات الله وتسليماته عليه في كل وقت وآن.

ولذلك الإمام الغزالي ﷺ فتح الله عليه في العلم، وكان يحضر مجلسه ما لا يقل عن عشرة آلاف، منهم ما لا يقل عن مائة من كبار العلماء، ولا يقل عن سبعين من كبار الأمراء، ناهيك عن الأغنياء، لكنه لم يجد قلبه، ولم يسترح باله، ولم ينل الذي يرجوه، قال ﷺ: فرأيت الله ﷻ في المنام وقال: يا أبا حامد عليك بقوم ولوا وجوههم إلينا، ودع الدنيا خلف ظهرك.

فأخذ يبحث عنهم حتى وجد شيخه، وكان إسمه خير النسَّاج ﷺ، وأكرمه الله ﷻ على يديه وصار في طريق الله ﷻ.

أين هذا الكلام؟ في قول الله تعالى:

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطًا ﴾ (٢٨ الكهف).

فكانوا يبحثون عن هؤلاء الكرام، ويمشون آلاف الكيلومترات بحثاً عن رجل من الصادقين من أمثال هؤلاء، من الذين قال فيهم الله:

﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلاً ﴾ (٢٣ الأحزاب).

تقابل هؤلاء وهم ذاهبون إلى حضرة النبي، سيدنا حنظلة وسيدنا أبوبكر الصديق، فقال أَبُو بَكْرٍ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قَالَ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى دَخَلا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فقال حنظلة: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَمَا ذَاكَ؟ قُال: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ فنَسِينَا كَثِيرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

{ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً }[١]

١٠ صحيح مسلم وسنن الترمذي

أسرار المجالسة للصادقين

لا بد من المجالسة، وهذه سر صحبة الصالحين، لأن الله ﷻ جعل تطهير النفوس بالأحوال القدسية من العبيد الذين أكرمهم الملك القدوس، ليست بالعبادات ولا بالأوراد ولا بالمجاهدات الفادحة، وإنما كما قال إمامنا أبو العزائم ﷺ:

(بالحال تزكية النفوس لا بالفلوس ولا بالدروس).

لو كانت تزكية النفوس بالدروس لكان من يقرأ ومن يتبحر في كتب الصوفية يرى أحوالهم العلية، لكنه لا يرى شيء، لكن الذي يريد أن يعيش في هذه الأحوال، ويصل إلى مراتب هؤلاء الرجال لا بد أن يجالسهم، والمجالسة كما قال فيها سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري ﷺ:

(تسبق أنوارهم أقوالهم فتجذب القلوب وتطهرها من العيوب وتؤهلها لسماع الغيوب).

إذاً الصالحون لهم شغل ظاهر، وشغل باطن، الشغل الظاهر منه اللسان، ولا ينفع اللسان إلا إذا كان معه شغل القلب والجنان، لأن كم من جليس للصالحين يسمع كلاماً جيداً، فإذا قام من المجلس تبخر كل هذا الكلام!! وهذه أحوال يملكونها عرَّفهم النبي ﷺ بأسرارها، حتى لا يُمنح السر لغير أهله.

فإذا حضر نفر مؤهلون للسر، وحضر معهم شخص ليس منهم، ماذا نصنع؟

نُمسك قلبه حتى لا يُحصِّل شيئاً مما يسمع، فيسمع كلاماً جيداً لكنه بعد ذلك يبحث عن كلمة واحدة فلا يجدها، وحتى إذا وعى يحاول أن يعبر فلا يستطيع، فتخونه العبارة، لأن العبارة لا تأتي إلا بعد الاستنارة، والاستنارة لا تكون إلا بعد تمام الاستشارة، ولذلك أمروا أن لا يتحدث أحد إلا بعد الإذن، لأن الإذن معه التوفيق من الموفق:

﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ (الأحزاب)

إذا دخل الكلام ومعه روح علوية من الملك العلام نفث في الجسم روح العمل، فقام الإنسان عاملاً بما سمع، وهنا يكون تمام التوفيق:

{ مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } [1]

ولا يكون هذا إلا بعد صفاء الطوية، وصدق النية، فمجيئه لله، ورغبته وجه الله، لكن إذا جاء ليحاجج ويجادل فليس له في هذا الطريق، أو إذا جاء ليسمع الكلام وينقله للآخرين ليكتسب منزلة وسمعة عندهم فليس له في هذا الطريق: (من كان همه وجه الله فمقعد صدق وراء ظهره)

كل الدنيا والآخرة تكون خلف ظهره إذ أراد وجه الله ﷻ، لأن الآخرة كون كما أن الدنيا كون، والله ﷻ وهو مكون الأكوان من وراء الأكوان جميعها:

فخلِّ	الخلق	خلفك	ثم	عامل	بصدق	ذات	مولاك	العلية

فإذا صفت الطوية وصدقت النية تحققت الأمنية، إذا واجه العبد روحاً تقية نقية، ولا يبغي من وراء اللقاء إلا وجه الله، وقربه ورضاه، وأن ينال الحظوة عند حبيب الله ومصطفاه صلوات الله وسلامه عليه.

وحتى النظرة لها أسرار عند الرجال، فقد كان ﷺ وهو في طريق معراجه يتعرض له قوم بعد قوم، والكل يقول: انظرنا يا رسول الله، فيسأل جبريل: من هؤلاء؟ فمرة يقول: هذا داع اليهود ولو أجبته لتهودت أمتك ..!!، ومرة يقول: هذا داع النصارى ولو أجبته لتنصرت أمتك ..!!، ومرة يقول: هذه الدنيا ..!!، ومرة يقول: هذا إبليس ..!!.. الكل كان يطلب نظرة من رسول الله، والله ﷻ أمرنا بذاته أن نطلب النظرة من رسول الله:

---

١١ ورد ذكره في بحر الفوائد للكلاباذي

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْ ﴾ والمكذبين؟ قال: ﴿ وَلِلۡكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٠٤ البقرة) الكافرين بهذا المبدأ لهم عذاب البعد وعذاب الجحيم عن الله ﷻ على الدوام.

لكن رسول الله ﷺ نظر نظرة إلى عمر وهو ذاهب إليه بسيفه ليقتله فتحول من قاتله إلى أول محب له يعلن نصرته والدفاع عن دينه:

{ اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ خَاصَّةً } [1]

فمجالسة الأحباب ... ومجالسة الصالحين ... هي سر الأسرار، والمنهج الأوفى للأبرار في ارتقائهم إلى مقام الأخيار والأطهار، ... وظهور سر الأسرار ... وهو النبي المختار لهم في قلوبهم ليل نهار، !!!

لكن على الأصول التي ألمعنا إليها !!!

وعلى الآداب التي أشرنا إليها ..!!!

بهذه الكيفية يحصل المريد على ما يريد إن شاء الله.

نريد أن نُفَعِّل المودة، وليست المودة معناها أن آخذ أهلي لزيارة أخي والدردشة في الدنيا وأحوالها، وقد أعطله، شرط الأُخُوَّة:

﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ (٢المائدة)

١٢ سنن ابن ماجة والحاكم في المستدرك عن عائشة رضي الله عنها

فتكون الزيارة :

للاستنارة، والاستخارة، والاستشارة، والاستفادة، والمعاونة على البر والتقوى والعمل الصالح.

إذا بدأنا بالرجال ووجدنا أن النساء ربما يكون لهم شيء في هذا المجال نأخذهم برفق ولين وعلى قدر ما يتحملون، لأنه لا توجد امرأة تتحمل ما يتحمله الرجال، نظراً لمسئوليتها في البيت، فنحن نريدها أولاً مربية للأولاد على النهج الإسلامي الكامل، وأريدها أن تؤسسهم على بر الوالدين، وعلى صلة الأرحام، وعلى آداب الجوار، وعلى الآداب الإسلامية كافة.

وحضرة الحبيب قال لنا في الزيارة:

{ زُرْ غِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا }[١]

شوق نفسك للزيارة، حتى يكون الأمر كله في الله ولله ولا ترجو من وراءه إلا وجه الله جل في علاه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

١٣ الحاكم في المستدرك والطبراني عن حبيب بن مسلمة ﷺ

الفصل الأول :بين التوكل والتواكل

آثار السلبية والتواكل

حقيقة التوكل

التوكل والعمل

التربية الإلهية للمجتبين

التوكل والأسباب

بداية الصحوة

التوكل والادخار

الفصل الأول

بين التوكل والتواكل[14]

في هذه الآنات الحاضرة نحن جميعاً وأفراد مجتمعنا أجمعين في أَمَسِّ الحاجة إلى تصحيح المفاهيم الدينية، لأن الناس في بلدنا فهموا المصطلحات والقيم الدينية بمفهومات خاطئة، كان لها مردود سلبي على الأفراد والجماعة والمجتمع كله، حتى بلغ الأمر أن وَصَف المؤرخ الإسلامي الشهير ابن خلدون المصريين بأنهم يميلوا إلى الاتكالية والسلبية وتأليه الحُكَّام.

والعجب بعد ذلك أن كل ذلك يتم بإسم الدين!! ومن يقوم به يقوم به على أنه تمام العمل بأركان الدين، لأنه بلغ مقام التوكل الذي أثنى عليه رب العالمين ﷻ!!.

آثار السلبية والتواكل

هذا الفهم الخاطيء للدين ترتب عليه عدة أمور نراها الآن:

الأمر الأول: أن الناس في بلدنا تميل إلى الأعمال الحكومية، ولا تود المجازفة بأعمال فردية أو بحثية أو تجارية أو غيرها.

الأمر الثاني: أن الناس تميل إلى إلقاء المهام على غيرها، وتتنصل من القيام بها بحجج واهية، لا يُسلمها العقل، ولا يرتضيها المنطق، ولم يأت بها الدين، بل هي حجج نفسية لأن الإنسان يريد من البداية أن يكون سلبياً في موقفه هذا.

الأمر الثالث: أن الكل يُلقي المسئولية على غيره، فإذا حدثت مشكلة كما نرى كل يوم، فالكل يُلقي المسئولية على غيره.

---

[14] المعادي – الخميس ٢٣ من جمادي الأول ١٤٣٤هـ ٢٠١٣/٤/٤م

حتى لو سلَّمنا هذا الكلام، فإن كل الأمور في البيوت وفي المجتمع وفي المصالح سيكون المسئول عنها حاكم البلد!! لأن الكل يزيح على غيره، ولا يريد أحد أن يتحمل مسئولية، وهذا غير ما نرى في البلاد المتحضرة، فإذا تسبب أحدهم في مشكلة يتقدم باستقالته، ويقول: أتحمل مسئولية هذا الأمر، هل عندنا جرأة اتخاذ هذا القرار؟ لا، الكل يريد أن يتنصل ويلقي المسئولية على غيره.

وزاد الأمر أن البعض ينشغل بالطاعات والعبادات الظاهرة، ويترك الواجبات التي كلَّفه بها الله نحو نفسه وأهله وأولاده، بحجة أنه يعمل لطاعة الله، وأنه يعمل الأعمال النافعة التي يرجوا نفعها في أخراه، وما أكثر هؤلاء في هذا الزمان.

هذه القضية لا يمكن أن تتغير من حياتنا إلا إذا تغيرت المفاهيم الدينية المتعلقة بها في عقولنا وفي قلوبنا، فنعلم حقيقة التوكل على الله، ومن هو العبد المتوكل حقيقة على الله؟ ومن هو العبد المتواكل الذي يزدري عليه الدين، ولا يوافق عليه أمير الأنبياء والمرسلين؟ وإن كان هو في نظر نفسه يظن نفسه من المقربين، ومن الصالحين، وهذا ينافي فرض دين الله، وأحكام الله، وشرع الله جل في علاه.

حقيقة التوكل

التوكل الحقيقي على الله هو أن يقوم الإنسان بالتكليفات التي كلَّفه بها شرع الله، والواجبات التي أوجبتها عليه هذه الحياة، ويقوم بالأسباب، وينظر أثناء القيام بها في الفعل إلى مسبب الأسباب ﷻ، كلَّفه الله ﷻ برعاية أسرته:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }[15]

يقوم بهذا العبء كما كان عليه الحبيب المختار ﷺ، وصفوته الأخيار والأبرار والأطهار بالعمل، قال ﷺ:

{ مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ }[16]

لا بالخداع، ولا بالنصب، ولا بالتحايل، ولا بالإحتيال، ولا بالتسول، ولا بالسؤال إن كان باللسان أو بالحال لأن المؤمن عزيز:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون).

يسعى لكسب أرزاقه وأرزاق أولاده من حلال، ويعتقد تمام الاعتقاد أنه عند اضطلاعه بهذه المهمة فهو في أكمل الطاعات لرب البريات ﷻ ... فلا ينشغل أثناء العمل - إن كان عنده عمل – بأى نافلة من النوافل أو قربة من القربات !!!

كيف ذلك؟ كأن يترك مصالح الخلق، ويُقبل على تلاوة القرآن، أو يترك مصالح الخلق ويذهب إلى المسجد لأداء صلاة الظهر قبلها بنصف ساعة، ويمكث بعدها ساعة، ويظن أنه في طاعة الله !!

---

١٥ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
١٦ صحيح البخاري ومسند الإمام أحمد وسنن البيهقي عن المقدام بن معدي رضي الله عنه

ونحن نرى ذلك من بلطجية هذا الزمان، لأن هذه بلطجة غير البلطجة الأخرى التي نراها في الشارع، وإذا سُئل، يقول: أتنهاني عن الصلاة؟! ألا تريدني أن أؤدي فريضة الله؟! وكأنه يتهم من ينبهه إلى هذا الخطأ الشرعي بأنه هو الخاطئ لأنه ينهاه عن الصلاة في وقتها، ونسي أن وقت الصلاة ممتد إلى صلاة العصر، وعليه أن يؤديها بين ذلك، على ألا يُقصر في العمل الشرعي الذي يحصل منه على القوت الضروري، حتى يكونه قوته حلالاً، فيُطعم نفسه حلالاً، ويُطعم أولاده حلالاً، فيدخل في قول الله فى (١٧٢البقرة).:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾

التوكل والعمل

أساس هذا الدين المطعم الحلال الطيب الذي أمر به الله حتى النبيين والمرسلين، مع أنهم عاملين لنشر دين الله، حتى قال سيد الأولين والآخرين ﷺ:

{ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:﴿ يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾، وَقَالَ: ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ }[17]

حتى الرسل لم يرفع الله ﷻ عنهم هذا التكليف، وإذا التزم الإنسان برضا واطمئنان بما كُلِّف به في هذا المجال، فإن الله ﷻ يتولاه بولايته، ويُهون عليه عمله، أو يُحسِّن له صنعته، لأنه نوى أن يقتدي برسول الله ﷺ: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ ﴾ لم يحدد الله في الآية عمل الآخرة فقط:

﴿ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ (١٠٥التوبة).

ومادام المؤمنون سَيَرَون هذا العمل فإنه سيكون عملاً نافعاً في الدنيا، وسيعود بالخير على المؤمنين، إن كان من زراعة أو تجارة أو تعليم أو اختراع أو صنعة أو مهنة ... سَيَرَون هذا الخير على جماعة المؤمنين أجمعين، فيعمل المؤمن لأن الله ﷻ أمره بالعمل.

إلى متى يعمل؟ نسأل الحبيب، قال ﷺ مبيناً نهاية العمل:

{ إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمْ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ، فَلْيَغْرِسْهَا }[18]

---

١٧ صحيح مسلم وسنن الترمذي والدارمي عن أبي هريرة ﷺ
١٨ مسند الإمام أحمد عن أنس ﷺ

يعمل إلى أن تأتي ساعته، أو تقوم قيامته، لا ينام ولا يكل ولا يمل لأنه يقتدي برسول الله ﷺ، يعمل ويرى مع الأخذ بالأسباب أن الذي يحركها ويفعل بها هو مسبب الأسباب ﷻ، وهذا هو نظر المؤمن المتوكل على الله تمام التوكل.

وأظن أن هذا أعلى مشاهد التوحيد، أن الإنسان إذا أكل ينظر إلى طعامه، وينظر إلى المؤثرات في ابراز ونضج محصوله:

﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾ (عبس).

إذا امتدت يده إلى الماء أخذاً بالأسباب نظر بقلبه على مُنزل الماء، ورتل قوله في الكتاب:

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ (الواقعة)

فيشرب ثم يقول كما علَّمنا النبي ﷺ:

{ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَهُ عَذْبًا فُرَاتًا بِرَحْمَتِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْهُ مَالِحًا أُجَاجًا بِذُنُوبِنَا }[١]

١٩ شعب الإيمان للبيهقي والدعاء للطبراني عن أبي جعفر ﷺ

يحمل البذرة ليضعها في التراب، ويتلوا قول الكريم الوهاب:

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الواقعة).

حتى في غيه، حتى في شهوته، حتى في نكاحه، يشهد وجه الله ﷻ، حتى في هذا العمل!!:

﴿ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الواقعة).

إذاً يشهد الأسباب، ويتعامل معها بكريم الآداب الواردة في الكتاب، مع الاقتداء بالنبي الأواب، ويشهد بعين قلبه مُسبب الأسباب، هو الذي يفعل بواسطة هذه الأسباب.

فإن الله ﷻ هو الذي يتجلى على الأسباب فتفعل ما يريد، لا ما يريده العبيد.

فإذا وافق العبد مولاه جعل الله الأسباب تفعل وفق مناه، وتحقق له ما يتمناه، ليعلم أنه قريب من الله، وأنه تحت عناية الله جل في علاه.

وإذا وقع العبد في الغفلة والصدود عصَّى الله ﷻ عليه الأسباب، فيكد ويتعب في كل باب، ولا ينال إلا ما قدَّره له الكريم الوهاب منةً من الله وفضلاً وليس بسبب الاكتساب، لأنه بسب الاكتساب ليس له شيء في خزائن الكريم الوهاب ﷻ.

التربية الإلهية للمجتبين

ولذلك كان الله ﷻ يتولى أنبياءه ورسله والصالحين من عباده في كل زمان ومكان بهذه التربية الإلهية، والعناية القرآنية، والأسوة المحمدية.

أعطى الله ﷻ الملائكة الكرام درساً عظيماً في توحيد الواحد الأحد، على يد نبي الله وخليل الله إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، وبيَّن لنا في ثنايا هذا الدرس فعل الله مع عباده المقربين، الناهجين على نهج الأنبياء والمرسلين، والذين وصلوا إلى مقام الصلاح والتقوى الذي ارتضاه منهم رب العالمين.

جمع له قومه الأخشاب، وأخذوا يجمعون فيها – كما تقول الروايات – ستة أشهر، حتى تجمع كم كبير من هذه الأخشاب، ثم أوقدوا فيها النار، وأرادوا أن يُلقوه في النار فلم يستطيعوا أن يقتربوا منها من شدة لهبها، فماذا يصنعون؟ نزل لهم إبليس اللعين وسوَّل لهم أن يصعدوا الجبل الذي بجوار النار، وأرشدهم إلى طريقة صنع المنجنيق، وهو خشبتين ثابتتين، بينهما خشبة متحركة، يتدلى منها حبلين، تحتهما شيء يجلس عليه، ويُحركون الخشبة المتحركة عدة مرات، ثم يقذفونه فيُلقى في النار من بعيد.

ألقوه في النار، وقبل هبوطه ضجت ملائكة السماوات: يا ربنا خليلك وعبدك ونبيك يُلقى في النار، فقال رب العزة: إن كان قد استغاث بكم فأغيثوه !! .....– هذا هو الدرس في التوحيد – ......

قالوا: ولا بد، وهنا تعلمنا الملائكة أن المسلم صحيح القلب سليم الفؤاد لا ينتظر حتى يطلب منه أخاه في وقت الشدة مساندته، وإنما ينبغي عليه أن يسانده لأنه رآه قريب من الشدة بدون سؤال، إذا انتظر حتى يطلب منه أو يسأله يكون إيمانه فيه دَخَل، لأن أصحاب الإيمان السديد، وأصحاب الإيمان الرشيد وهم الملائكة تحركت قلوبهم بمجرد أن رأوا نبياً لله، ولياً لله، عبداً لله ... ستحرقه النار، فضجوا إلى الله، وسألوا الله ﷻ أن ينقذه من هذا المأزق الذي هو فيه.

وهذه صفة الصديقين، فإن من لا يرى معاناة إخوانه وشدائدهم لا يصلح لطريق رب العالمين، لأن الطريق أساسه الذوق السديد، فأقل درجات المقربين أن يستوي مع الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون وما يُؤمرون، وهذا لا بد أن يكون له إحساس ظاهر جلي بإخوانه المؤمنين أجمعين.

وكان الصالحون في أوقات الشدائد على مر الزمان بعضهم لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يقرب النساء، ويظل متوجهاً إلى الله بالدعاء حتى تنكشف الغمة عن المسلمين، وهذا هو الحال الراقي للمسلمين، حصلت مجاعة في مصر، وكان من كبار الصالحين في ذلك الزمان سيدي أبو عبد الله القرشي ﷺ دفين بيت المقدس الآن، وتوجه لزيارة سيدنا إبراهيم الخليل في الخليل - أعاد الله هذه الأرض إلى الإسلام – وكان من أهل الكشف، وكان تلاميذه ستمائة، قال: توجهت إلى الخليل فقابلني أبو الأنبياء، فقال: فقلت: يا سيدي اجعل ضيافتي عندك تفريج الشدة عن أهل مصر، وهذا حال الصالحين في كل زمان ومكان ولا يزال.

سيدي أبو الحسن الشاذلي ﷺ يحكي أنه في بدايته حدثت مجاعة في تونس، وشحَّ الدقيق، وأصبح الناس لا يجدون الخبز إلا بمشقة بالغة، قال: فذهبت إلى الخباز وأعطيته ثمن الخبز كله، وأخذته لأوزعه على الفقراء والمساكين، قال: فنوديت في سري: يا مسكين وماذا يصنع خبزك مع أهل البلد أجمعين؟! وهل يكفيهم اليوم أو الغد أو بعد الغد؟! ولكن توجَّه إلى الله ﷻ حتى يُخلصهم من هذه الورطة وينجيهم من هذه الشدة، قال حبيبي ﷺ:

{ مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ } [٢]

٢٠ الطبراني عن حذيفة بن اليمان ﷺ

قال الله تعالى لملائكته: اختاروا أحدكم ينزل له، فاختاروا الأمين جبريل، فنزل إليه وقال: هل لك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، قال: من الله تعالى؟ قال: علمه بحالي يُغني عن سؤالي، لأن إبراهيم في مقام أعلى من جبريل، فلا يجوز أن يجعله واسطة بينه وبين ربه ﷻ، وهو أقرب منه لمولاه، وهذا يُعْلِّمنا أن مقام الأنبياء والمرسلين أعلى من مقام الملائكة أجمعين بما فيهم الأمين جبريل:

فذاتك النور نالت من لطافتها	ما دونه وقفت ذات الملائكة
جبريل وهو عظيم في مكانته	لم يستطع يلج الأنوار بالهمم
والمصطفى وهو خير خلق الله كلهم	بالجسم والروح فافهم زهرة الحكم

كانت النتيجة أن قال الله لنبي الله ومصطفاه إبراهيم:

﴿ يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (٦٩الأنبياء)

قال بعض الصالحين: لو قال (كوني برداً) فقط لمات من شدة البرد، لكن الله قال (برداً وسلاماً) أى برداً لا يؤذي، فأحرقت النار حباله، ولم تحرق ثيابه، لنعلم علم اليقين أن النار لا تحرق إلا بأمر من رب العالمين ﷻ.

روي أنه عندما أراد إبراهيم أن يذبح ابنه إسماعيل حدَّ السكين، وأخذ يقطع بها رقبته فلا تقطع، فخاطبها وقال: ما لك يا سكين لا تقطعي رقبة إسماعيل، فأمرها الله أن تنطق فأجابته وقالت: ولِمَ لم تحرق النار جسدك يا إبراهيم؟!!.

أمر آخر: نبي الله يونس عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام، عندما كذَّبه قومه، وطلب من الله أن يُنزل عليهم العذاب، فأخبره ربه أنه ستظهر عليهم علامات في أيام ثلاث بعدها يأتهم العذاب، في اليوم الأول تصفَّر وجوههم، وفي اليوم الثاني تحمَّر وجوههم، وفي اليوم الثالث تسوَّد وجوههم، وأخبرهم بذلك، فلم يرتاعوا ولم يهتموا، وفي اليوم الثالث عندما رأى وجوههم مسودة علم أن العذاب نازل لا محالة، فأراد أن ينصرف من بينهم خوفاً أن يحل عليه عذاب الله وهو وسطهم، فخرج مغضباً كما أخبر الله، وهم بعدما رأوا الآيات اجتمعوا مع بعضهم وقالوا: لقد صدق يونس فيما حدَّثكم، إن ما جاءكم به الحق، فآمنوا بالله أجمعين:

﴿ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَـٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (١٤٨ الصافات)

وحدث ما حدث – كما تعلمون – في السفينة التي كانت على وشك الغرق، وقالوا: ماذا نصنع؟ فقالوا: لا بد أن فينا رجل مُغضب لربه نأخذه ونلقيه في اليم لتستقيم السفينة في سيرها، فأجروا القرعة، وكلما أجروها وقعت على يونس، قيل عشر مرات، فألقوه، فأمر الله حوتاً أن يخرج ويلتقمه، والحوت يأكل الحديد، ويأكل الأحجار، والإنزيمات التي تُفرَز في معدته تهضم الحديد، وتهضم الأحجار، لكن الله ﷻ قال له: إياك أن تكسر له عظماً أو تهري له لحماً، فجعل الله ﷻ الحوت مسجداً له، لنعلم جميعاً علم اليقين أن الأسباب لا تفعل إلا بمسبب الأسباب ﷻ.

فإذا وُفِّق الإنسان لطاعة مولاه جعل الله ﷻ الأسباب تجري بما يُحب، وهو لا يُحب إلا ما يُحبه مولاه، لا يُحب شيئاً فانياً في دنياه، ولا حظاً أو شهوة ظاهرة أو خفية غير وجه الله جل في علاه.

وإذا غفل وسها ونسي استعصت عليه الأسباب، ليرجع إلى الله، ويفيء إلى رشده، ويتوب من غيه، ويرجع إلى من بيده الضر والنفع والحياة والموت فيُعَدِّل شئونه، ليست عقاباً له ولكنها تنبيهاً له ليرجع إلى من يُرجع إليه الامر كله، فعندما يرجع إليه تائباً بين يديه، مقبلاً بالكلية عليه، يجعل الأشياء كلها خادمة له، وتتزلف إليه.

التوكل والأسباب

إذن التوكل على الله الحقيقي القيام بالأسباب، بالآداب التي جاءت في شرع الله، وبالمتابعة لحبيب الله ومصطفاه، مع شهود عين القلب أن الذي يُحرك الأسباب ويفعل بها هو الله جل في علاه، فيعلم علم اليقين أن الأمور كلها لا تتحرك إلا بالله ولا تسكن إلا بالله، فيلجأ إلى الله مع قيامه بالأسباب، وهذا حال أهل اليقين الحق، أهل التوكل الصحيح على حضرة الله جل في علاه، وأولهم سيدنا رسول الله ﷺ، وأصحابه الكرام ﷺ، والصالحين في كل زمان ومكان.

لذا كان أصحاب رسول الله ﷺ كما قيل في شأنهم: كانوا أسوداً في النهار في السعى على المعاش، ورهباناً بالليل في طاعة الله ﷻ:

تراهم نهاراً كالسباع شهامة	كما أمر الرحمن في طلب البر
وفي الليل رهبان بذكر إلههم	سكارى حيارى في شهود وفي ذكر

لم نسمع عن واحد من أصحاب رسول الله ﷺ وقف على باب مسجده المبارك، أو في السوق، أو في الطريق ماداً يده للسائلين، أو مر بالأبواب طالباً عطاءات الساكنين.

الصِدّيق الأعظم ﷺ تولى الخلافة، وإذا بهم يرونه في الصباح في وسط السوق ينشر ثيابه التي يبيعها، فقالوا: ما هذا يا خليفة رسول الله؟! قال: وما أصنع لأولادي؟! هل أمد يدي إليكم؟! قالوا: لا، فتركوه ثم جلسوا مع بعضهم وقالوا: إنكم تظلمون أنفسكم وتظلمون هذا الرجل إذا تركتموه على هذا الحال، افرضوا له من بيت المال ما يكفيه وأهله بالمعروف ليتفرغ لكم، وليتفرغ لدولة المسلمين، لأنهم في حاجة إليه في عمله وفي رعاية المسلمين، فقالوا نعرض الأمر عليه، فذهبوا إليه وعرضوا عليه الأمر، فقال: ما دمتم اتفقتم على ذلك فلا بأس، فصَفَّى بضاعته، وأنهى تجارته، وتفرغ للمسلمين، لأنهم قدَّروا له ما يكفيه وأولاده بالمعروف من بيت مال المسلمين، لكن حتى أول يوم في ممارسته السلطات كان يسعى ليجلب الطعام لنفسه ولأولاده، هكذا علَّمهم سيدنا رسول الله ﷺ.

بداية الصحوة

أظن أننا في حاجة إلى ثورة عارمة على الاتكالية والسلبية الموجودة في مجتمعنا، وأصبح الكل يعتمد بالكلية على الحكومة، في أكله وشربه وعمله ومصالحه!! مَن الحكومة؟ ومَن أنت؟ لماذا لا يوجد عندنا روح المغامرة كما كانت عند أسلافنا وعند إخواننا العرب الآخرين؟!! أين سوريا ولبنان الآن؟! انظر إلى أى دولة في الأمريكتين تجد فيها جالية من كبار الوجهاء والأغنياء من سوريا ومن لبنان، أغنى رجل في العالم الآن من سوريا ويعيش في الأرجنتين، وغيره الكثير، وهذا بسبب روح المغامرة.

روح المغامرة لا توجد عندنا، وكل شخص يريد أن يجلس في الظل ويأخذ أى شيء، ثم بعد ذلك يمد يده، ويتحسر على ما عند غيره ويحقد عليه ... هذه أمور لا تليق بدين الله، ولا بالمسلمين المسَلِّمين المتابعين لسيدنا رسول الله ﷺ، لأن المؤمن يسعى لأن يُغني نفسه، ويُغني أولاده، ويتفضل على إخوانه الفقراء والمساكين حتى يكون له يد عند الله يكافئه عليها يوم الدين:

{ اتَّخِذُوا الأَيَادِي عِنْدَ الْفُقَرَاءِ فَإِنَّ لَهُمْ دَوْلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ }[٢]

أنا أحب الصالحين، وأحب زيارة الصالحين، لكن أُصاب بالصدمة عندما أذهب إلى أضرحة الصالحين، وأجد ما حولها من المتسكعين بحجة أنهم دراويش، أو أنهم عابدين، أو أنهم مجاذيب ومتفرغين لله ﷻ، لأن هذا ليس من دين الله ﷻ، وأعجب ممن يُعطيهم، قال لي أحدهم: إني نذرت نذراً فأخذت لحماً ووزعته في مسجد سيدي أحمد البدوي، فقلت له: هل وزعته على البلطجية الموجودين هناك؟!! كان الأولى بذلك الأماكن التي يوجد بها أناس تحتاج إلى الطعام، وإذا لم تجد اعطها لإخوانك، الإمام عليّ يقول: (لأن أنفق درهماً على إخواني خير من أن أنفق عشرين درهماً على الفقراء والمساكين، ولأن أنفق عشرين درهماً على إخواني خير من أعتق رقبة) لإن إخوانك أعفة:

---

٢١ السادس عشر لأبي طاهر السلفي عن أبي هريرة ﷺ

﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ (٢٧٣البقرة).

مثل هؤلاء الناس المتسولين كالأشواك التي حول الورود، الصالحين ورود وياسمين وهؤلاء الأشواك الموجودة حولهم، لأن هؤلاء يسيئون لهذا الدين، فالدين ليس كذلك، ولكن الدين إيمان وصدق طوية، ومتابعة لخير البرية ﷺ.

التوكل والادخار

وهناك مسألة أخرى تابعة: هل المؤمن يدَّخر؟ الدراويش يقولون: (اصرف ما في الجيب يأتيك ما في الغيب) من الذي قال ذلك؟! إن الله ﷻ يقول:

﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ﴾ (٣١الأعراف)

وقال في الإنفاق:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾

(٦٧الفرقان).

أى أن المؤمن لا بد له من سياسة حكيمة في الإنفاق، يُنفق في الضروريات، ويجعل له باباً أو أبواباً للبر والمعروف والخيرات، ويدَّخر بعد ذلك لنوائب الدهر وخطوبه حتى لا يمد يده في ذلك إلى سواه، كل ذلك يسير مع بعضه.

لكن لو أنفقت ما عندي، ثم حدث عندي مشكلة، فسأضطر للدين، والمجتمع الآن حكم على القرض الحسن بالإنتهاء، فحتى من معه مال يخاف أن يُعطي، يحكي مشايخنا أن شخصاً طلب من شخص مال كسلف، فقال له: أوافق بشرط أن تُقَبِّل يدي، قال له: لماذا؟ قال: لأني عندما آخذه منك سأُقَبِّل يدك!!.

لِمَ لا يكون عند المؤمن ما يستعين به على النوائب؟! هذا من ضمن الأمور التي ينبغي أن يتوقف عندها المؤمن، الدراويش يقولون إن الله يأتيني برزقي يوماً بيوم، ولا يدخرون، والله ﷻ يقول:

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾

(٦٧الفرقان).

وانظر إلى النبي ﷺ الذي علَّمه الله وأمرنا أن نقتدي به، ماذا كان يصنع مع أهله؟ كان ﷺ يوفر لزوجاته قوت عام، يُعطي كل واحدة منهن ما يكفيها لمدة عام، لماذا؟ ليطمئن القلب، ويُقبل على الله بالكلية، إذا اطمئن الإنسان إلى أن أولاده عندهم ما يكفيهم فسيتوجه إلى الله بالكلية، وليس عنده ما يشغله.

وانتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى وله ثوبان يُنسجان، مع أن الله خيَّره وأعلمه، لكنه ليُعَلِّمنا أن هذا هو دين الله الذي أمرنا به الله، مادمت ما ادَّخره سأنفق منه عند الحاجة، وسأُخرج منه حق الله وهو الزكاة، فلا بد من الادخار حتى يمشي على نهج الحبيب ﷺ، قال ﷺ:

{ الاقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ } [22] ، وقال ﷺ:

{ مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ } [23]

إذاً أهل المجتمع الآن - حتى لا نهضم أهل التوكل من المصطلمين والمهيمين - ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:

١. المتوكلين حق التوكل: الذين يقومون بالأسباب، ويراعون فيها الآداب، ويقتدون بالنبي الأواب، ويشهدون بعين البصيرة الفعل لمُسبب الأسباب ﷻ.

---

٢٢ الطبراني والبيهقي عن عبد الله بن عمر ﷺ
٢٣ مسند الإمام أحمد والطبراني والبيهقي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

٢.	هناك بعض القوم - وأظن هذا في عصرنا قد قلّ جداً جداً لأن هذا عصر الأسباب – أُخذوا عن أنفسهم، ولم يعودوا يدرون بما حولهم، ورأوا أنوار الله، فجذبتهم أنوار الوكيل إلى الله فتوكلوا عليه، وتركوا الدنيا وما فيها، وهؤلاء نفر قليل ولا يجوز الاقتداء بهم، لأن هذا حال لا يُقلد ولا يُتابع، لأن هذا حال انفردوا به، وإنما ذكرت ذاك حتى إذا رأينا رجلاً منهم لا نعترض عليه، لأن هذا حاله التوكل على الله ﷻ وإن كان أقل في المقام ممن ذكرناه سابقاً، وهو المتوكل على الله حق التوكل.

٣.	المتواكلون: وهم الفئة الأكثر في مجتمعنا، الذين يهربون من الأعمال، والذين يتكاسلون ويُهملون، الذي يترك أمر بيته إلى زوجته، وإذا أرادت منه طلباً يهرب منها أو يُغضبها أو يسبها ويشتمها أو يضربها حتى لا تطلب منه أمراً لنفسها أو لأولادها!! حتى وصل الأمر في كثير من القرى أن الرجال طوال اليوم على المقاهي جالسين، والنساء في الحقول يعملن، ويا ليتها تلقى في آخر اليوم كلمة طيبة، أو معاملة حسنة!!.

ما هذا الذي نحن فيه الآن؟! هذه مشكلة المصريين الآن، الاتكالية والسلبية، إذا وُجدت مجموعة في مكتب وفيهم رجل نشيط أتوا إليه بأعمالهم كلها وتركوه!! وإذا اشمئز يُعنفوه!! كيف تنهض أُمَّة بمثل هذه الأحوال؟!.

والله ﷻ وضع لنا المنوال في الحبيب ﷺ وأصحابه والآل، رجال حتى في البيع والشراء، يبيعون ويشترون ومع ذلك:

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ (٣٧النور)

لكن المقام الأول للبيع والشراء.

ومع ذلك لا ينهاهم البيع والشراء عن ذكر الله، لم يتركوا البيع والشراء، وادَّعوا الجذب، وأنهم في طاعة الله!! هذا ليس في دين الله ﷻ.

فالدين يُعلَّمنا أن الأولويات للتكليفات التي كلَّفنا بها الله، لنا ولأولادنا ولزوجاتنا في هذه الحياة، مع المحافظة قدر الاستطاعة على ما كلَّفنا به الله، فإذا فرغنا من ذلك ننصب إلى النوافل والقربات مُتبعين فيها لسيدنا رسول الله ﷺ.

يحسب على هذا الأمر أيضاً في بلادنا، وفي أكثر إخواننا المسلمين، من يدَّعون التوكل على الله ويتركون الدواء والذهاب إلى الأطباء، وهذا مرض اجتماعي منتشر الآن، يقول: لن أذهب إلى الطبيب، وإذا كتب الله لي الشفاء فسأشفى!! وإذا لم يكتب لي الشفاء فلا فائدة للطبيب!! صاحب الشريعة ﷺ قال:

{ تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً } [٢] ، **وقال ﷺ: { مَا خَلَقَ اللهُ دَاءً إلا وَقَدْ خَلَقَ لَهُ دَوَاءً، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ }** [٢]

لا بد من التداوي، والتداوي على يد الطبيب (اسأل مجرب واسأل طبيب) وليس كما يقولون: (ولا تسأل طبيب) لأن هذا كلام خرافات، وتحريف حتى في الأمثال، لأنه لا بد من العلاج.

والسيدة عائشة رضي الله عنها أخذت الدكتوراه في الطب، سألوها: كيف تعلمت الطب؟ قالت: كان ﷺ يسقم كثيراً، وكان يأتيه حكماء العرب فيصفون له الدواء، فتعلمت ذلك منهم، تعلمت من مشاهدة حالة واحدة كل أصناف الطب، وكان النبي ﷺ يُستدعى له حكماء العرب، مع أن دعاءه مستجاب، وذلك ليُعلِّم أصحابه هذه الآداب.

---

٢٤ سنن الترمذي وأبي داود وابن ماجة عن أسامة بن شريك رضي الله عنه
٢٥ الحاكم في المستدرك والطبراني عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه

إذن ليس من التوكل على الله ترك الادخار، وليس من التوكل على الله ترك العلاج، إنما المؤمن يأخذ بكل الأسباب في كل الأبواب، ويرى أن هذه الأسباب تفعل بفعل مُسبب الأسباب ﷻ.

من شهد الأسباب تفعل بذاتها فهو مشرك، لأنه نسب لها ما ينبغي لله ﷻ، وهي لا تفعل من ذاتها:

من يشهد الغير فعالاً فمنقطع	لأنه مشرك قد مال للسفل

ومن شهد الله ﷻ يفعل بذاته جانبه الصواب في توحيده، لأن الله يفعل بالأسباب، وجعل لكل شيء سبباً، وهذا خالص التوحيد الذي ينبغي أن يكون عليه العبيد:

﴿ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (٢٣المائدة).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الثاني:الزهد والزاهدون

دلائل الصدق

علامات اليقين

الزهد

ثمار الزهد

مقام المراقبة

الفصل الثاني

الزهد والزاهدون٢٦

إلى من يريدون السير إلى جمال الله ...

قد ألهمنا الله ﷻ بإلهام من عنده، ففرَّعنا لهم مناهج لا عدَّ لها ولا حدّ لها توصلهم إلى هذا الرحاب ..

ومن حضر مجالسنا أو قرأ كتبنا، يرى في هذه المناهج فضل الكريم الوهاب ﷻ، ليس منهجاً واحداً، ولكن مناهج متعددة، حتى يصطفي الإنسان منا ما يروق له، ويستحلي ما يريد أن يمشي فيه، المهم أن يُصَحح العزم، ويُصَفِّي الفؤاد، ويُقَوِّي الإرادة، ويُعلن البداية، والبداية لمن أراد الولاية لا بد أن تكون محرقة لكل الأغيار التي تكمن في القلب، وتمنع عنه أنوار حضرة العزيز الغفار ﷻ.

مناهج كثيرة، لكن طبيعة الخلق إذا كان العطاء والرزق قليل تجدهم به مستمسكين، وعليه حريصين، فإذا زاد العطاء، وكثر الرخاء تجدهم تفلتوا عنه، ولم يدروا قيمته، ولم يبحثوا لأنفسهم عن غاية، وظنوا أنفسهم مسربلين ومجملين بجمال الولاية، لكن جمال الولاية لأهل العناية دليله فتح الفتاح ﷻ، كل من يدَّعي ولاية الله، ويزعم أن له جاهاً عند الله، فدليله إلى خلق الله الفتح الإلهي الذي فتحه عليه مولاه، وفتوحات الله ﷻ لا تُعد ولا تُحد.

ولا ينال الفتح أهل الكدح والجد والاجتهاد في العبادات، لأن هؤلاء يحصلون على منازل - وإن كانت عظيمة في الجنات – فإنها لا تلائم أحوال الصالحين والصالحات.

---

٢٦ المعادي – الخميس ٢٢ من جماد الثاني ١٤٣٤هـ ٢٠١٣/٥/٢م

دلائل الصدق

وأوضح لكم لمماً من أحوال أهل البصيرة ..

يقولون: فلان من أهل البصيرة عرف عني كذا، وكشف في فلان كذا .... بم يستدلون بذلك؟ يستدلون بالأحوال على منازل الرجال، فمن يدَّعي الولاية لكنه في أعمال أهل القرب بطال، فهذا في نظر أهل الكشف، وأهل الصدق، وأهل اليقين عند الله محال، ومن يدَّعي أن له عند الله ﷻ قدر ومقدار، ونراه يناطح وينافس بشدة أهل هذه الدار، فهذا دليل على أنه مكسوف الأنوار، فكيف يكون لمكسوف الأنوار عند الله قدر ومقدار؟!!.

دلائل أوجدها الله في كتاب الله، وبيَّنها في حاله وبقاله سيدنا رسول الله، وجمَّعها وقاسها ومشى على نهجها الصالحين من عباد الله، حتى قال قائلهم: (إذا سمعت من يدَّعي أنه رأى رسول الله ﷺ فقس ذلك على حاله، فإن كان حاله يصل إلى ذلك فهو أهل لذلك، وإلا فهو مخدوع ومُلَبَّس عليه فانقذه من ذلك).

ونحن نتحدث عن مقامات أهل اليقين، تعالوا بنا ننظر إلى رجل من أهل الفتح، ودلائل فتحه، والعلامات التي استنبط منها النبي ﷺ أحواله ومقاماته عند الله ﷻ، رأى النبي ﷺ حارثة ﷺ، فقال له:

{ كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: إِنَّ لِكُلِّ إِيمَانٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ ؟ قَالَ: عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي، وَكَأَنِّي بِعَرْشِ رَبِّي بَادِيًا، وَكَأَنِّي بِأَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ يَتَنَعَّمُونَ، وَأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَصَبْتَ فَالْزَمْ، مُؤْمِنٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ }[٢٧]

---

٢٧ مسند البزار، ومسند الشهاب عن أنس ﷺ

"كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟" أهل هذا المقام إذا سُئلوا فتكون الإجابة بما عليه القلوب، وما عليه الأحوال في متابعة الحبيب المحبوب.

ولذلك لو سألت أى شخص: كيف حالك؟ إذا قال: الحمد لله المال كثير والخير كثير، فهذا من أهل الدنيا، وهذا ما يشغله، ولو قال: الحمد لله حصلت على وظيفة عالية، ومنحة كبيرة، فهذا مشغول بالجاه، وإذا قال: الحمد لله ابني حصل على كذا والآخر حصل على كذا، فهذا مشغول بالذرية.... وهكذا، هذه دلائل، وإن كانت لا تُغني عن الضوء الذي وضعه الله ﷻ في الفؤاد، ليخبر الإنسان بما ألهمه الله ﷻ به في هذه الأكوان.

يقول له النبي ﷺ: "كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟ فيقول: " أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا " مع أن أصحاب رسول الله ﷺ كما رُوي عنهم، وكما أخبر الإمام أبو طالب المكي ﷺ في (قوت القلوب) عنهم، كان إذا سُئل أحدهم: أمؤمن أنت؟ يتوقف، لأنه إذا قال: أنا مؤمن فقد جزم على مولاه، وحسن الخاتمة لا يعلمه إلا حضرة الله، وكانوا يخشون الخاتمة، وإذا قال: لست بمؤمن، فقد كذَّب بما هو عليه، لأنه آمن بالله ويقوم بما كلَّفه به مولاه، وأخيراً وصلوا إلى أن يقول الرجل منهم: مؤمن إن شاء الله، فيُقدم المشيئة مع الإيمان لأنه لا يدري أى امرئ مهما كان شأنه بم يُختم له عند لقاء ربه ﷻ.

رجل من الأنبياء يقول:

﴿ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (١٠١يوسف)

هذا رجل من الأنبياء يطلب من الله أن يتوفاه مسلماً ويُلحقه بالصالحين!! وإمامنا ونبينا ﷺ كان يُكثر من قول:

{ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ }[٢]

وعلَّم من حوله ومن بعده ونحن منهم إلى يوم الدين، لكن هذا الرجل أجاب بأنه من أهل اليقين، فقال: "أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا" إذاً لا يجوز الجزم في هذا المقام إلا لأهل اليقين، أما أهل التلوين فلا ينبغي أن يجزموا بشيء على رب العالمين ﷻ، أهل اليقين هم الذين وصلوا إلى علم اليقين، أو عين اليقين، أو حق اليقين:

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨ ﴾ (التكاثر).

والإنسان يظل في طريق الله تلميذاً !!!

يجاهد ويكابد ويتجمل بحرص بجمال العبودية، ويحرص على عدم ظهور بدوات النفس ولممها، أو بزوغ أهواءها، أو ظهور شهواتها، ويكبح جماح نفسه حتى يصل إلى مقام اليقين:

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩ ﴾ (٩٩الحجر).

واليقين مقام المواجهات، أن يرى عياناً:

٢٨ سنن الترمذي وابن ماجة ومسند الإمام أحمد عن أنس ﷺ

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ ﴾

(الأنعام)

أهل اليقين أهل الكشف المُحصن بحصون سيد الأولين والآخرين، لكن لو وصل للكشف وهو غير محصن فربما يزل، وربما يضل، وربما يخل، وربما يختل !!

فإذا حُصِّن الكشف بحصون رسول الله ﷺ يا هناه، فقد أصبح من أهل الفتح الأعظم، وأكرمه الله ﷻ بمقام الإيقان.

علامات اليقين

أراد النبي ﷺ أن يشرح لمن حوله من أهل السيميا والكشف هذه الدلالات وهذه العلامات فقال: " إِنَّ لِكُلِّ إِيمَانٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ ؟" هذا هو الطريق إلى اليقين، فصِّصْه، وادرسه، وامش به، واعمل به، تكن من أهله، وتفوز بالفضل الوارف لمن مشى على هديه إن شاء الله، قال: "عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا" هذه أول علامة.

الزهد

أول علامة من علامات سلوك الطريق، وأن هذا الرجل بدأ في منهج أهل التحقيق: أن يؤتيه الله ﷻ زهداً في الدنيا، فكل من يدَّعي العناية، وكل من يدَّعي الولاية، وتجده ينافس بشراسة على الدنيا، ولا يبالي من حلال أو من حرام، فاعلم أن هذا المسكين مضحوك عليه، وسيخرج من الدنيا خالي الوفاض، قال ﷺ:

{ مَنْ طَلَبَ عَمَلَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ فَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ } [٢]

أول شرط لمن أراد أن يسلك طريق الله الزهد، ونبينا ﷺ جعل الزهد سبباً لمحبة الحق ومحبة الخلق، فقال ﷺ:

{ ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا، يُحِبُّكَ اللَّهُ ﷻ وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، يُحِبُّكَ النَّاسُ } [٣]

إذن سبب الحب في هذا المجال الزهد.

---

٢٩ مسند الشهاب، والزهد زصفة الزاهدين عن أُبَى بن كعب ﷺ
٣٠ سنن ابن ماجة والحاكم في المستدرك والطبراني عن سهل بن سعد ﷺ

وكلمة الزهد معناها الترك، ما الذي نزهد فيه؟ وما الدنيا التي نزهد فيها؟ الدنيا من الدنو والدناءة، فكل الأشياء الدنية، والأشياء الدنيئة من الدنيا، لكن الحاجة ليست من الدنيا، فأنا أحتاج إلى طعام لأولادي، فأسعى لكسب هذا القوت، هذا ليس من الدنيا، ما دام من حلال وبشرع ذي الجلال والإكرام، أو أسعى لتحصين نفسي بالزواج، فهذا ليس من الدنيا.

لكن الدنيا وضَّحها الله في كتاب الله وعدَّدها وقال في شأنها حتى نعرفها كلنا:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (١٤ آل عمران)

هؤلاء ثمانية، واختصر الله ﷻ هذه الثمان في خمس فقال:

﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ﴾

(٢٠الحديد)

واختصر الخمسة في إثنين:

﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴾ (٣٦محمد)

واختصر الإثنين في واحدة، وهي المهمة التي تحرص عليها وتجاهد نفسك فيها:

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾

(النازعات).

إذاً الدنيا تساوي الهوى، واتباع الهوى، ولذلك قال بعض الصالحين: (من اتبع الهوى فقد هوى، ولكل داء دواء إلا الهوى).

إذن الإنسان يتعاطى كل شيء في الأكوان، إن تعاطاه بنفسه، على هَدْى من كتاب ربه، ومن سُنَّة نبيه، يرجوا من تعاطيه رضاء الله، أو رغبة كريمة في الميعاد يوم لقياه، فهذا ليس من الدنيا، وإن تعاطى أى أمر لشهوة، أو لحظ خفي أو جلي، أو لرغبة فانية، أو لمصلحة زائلة، أو لمنفعة غير دائمة .. حتى إن كان هذا الأمر من أمور الآخرة فهذا الأمر أصبح هوى، والذي يضبط كل هذه الأمور النية، وضبط النية عليه تحقيق الأمنية، ما نيتك في كل أمر؟.

والزاهد ليس الذي لا يملك، فربما لا يملك لكن يتطلع إلى الأشياء ويود امتلاكها، فأى زهد هذا؟!

لكن الزاهد الذي يملك الأشياء ولا تسكن قلبه، قال رجل لسيدنا عبد الله بن المبارك ﵁: يا زاهد، فقال ﵁: الزاهد عمر بن عبد العزيز – وكان معاصراً له – لأنه يملك الدنيا كلها ولا ينشغل بها، أما أنا ففيما زهدت؟!.

فمن يدَّعي الزهد ولا يملك من أمور الدنيا شيئاً!! فأى زهد هذا؟! لكن الزهد الحقيقي للصالحين والعارفين ليس هو حتى أن يزهد في الدنيا طلباً لمنازل الآخرة، فإنهم يعدون هذه الدرجة ليست بالعلية، وإنما يزهد في كل ما في الأكوان رغبة في رضا حضرة الرحمن ﷻ.

فلا بد للإنسان إن أراد أن يكون من أهل صدق الإرادة، أن يسيطر على هواه، وهوى نزغات نفسه ،وعلى طلبات حسه وجسمه، ولا يتعلق قلبه ولا يسمح بدخوله إلا لربه ﷻ:

لا تعلق بالقلب غير إله	قد تجلى في العالمين علاه

سيدنا عبد الله بن مسعود ﵁ سمع رسول الله ﷺ وقد نزلت عليه آيات كريمة من كتاب الله يتلو قول الله ﷻ: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ (١٥٢آل عمران)، فبكى، فقيل له: لِمَ تبكي؟ قال: لم أكن أعلم أن من أصحاب رسول الله من يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية.

سيدي أبو يزيد البسطامي ﵁ بعد ذاك بقرون، سمع القاريء يقرأ هذه الآية فصرخ، فقيل له: لِمَ صرخت؟ قال: أما سمعتم هذا العتاب، قالوا: أى عتاب؟ قال: يقول الله تعالى: ﴿ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴾ فأين من يريدني؟!

هؤلاء القلة القليلة من أهل الفتح ومن أهل اليقين.

"عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا" ليس معنى ذلك أن نترك الدنيا لليهود ليتحكموا فينا، ولكن كما كان أصحاب رسول الله ﷺ ورضوان الله عليهم يقولون: (اللهم اجعلها في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا) يتاجرون لله فيأخذوا ما يحتاجون إليه من النفقات في هذه التجارة، والباقي يرصدونه لله، فإذا جاء أمر يهم الله سارعوا إلى البر طمعاً في رضاه جل في علاه، وأنتم تعلمون هذا الصنف في عثمان بن عفان، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وحكاياتهم ﵃ وأرضاهم.

يجمع المال لكن لا يشغله عن الله ﷻ طرفة عين، سيدنا طلحة الخير اشترى حديقة ووقف يصلي فيها – كما ورد في الروايات – فسمع صوت طائر جميل شغله لحظة في الصلاة، فذهب فوراً عقب الصلاة إلى رسول الله، وقال: يا رسول الله لقد سمعت صوتاً شجياً لطائر صوته عذب وأنا في حديقتي في الصلاة فشغلني لحظة عن الله، وهذا ذنب أحس بوقعه كأنني ألقيت في جهنم، ولا أرى تكفيراً لهذا الذنب إلا أن تضع هذه الحديقة في سبيل الله جل في علاه!! قوم لم يشتغلوا بالدنيا عن الله طرفة عين ولا أقل.

فليس الزهد في الدنيا أن نترك الدنيا، ولكن نسعى فيها كما كان يسعى أصحاب رسول الله، غير أننا كما قال الله:

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ﴾ (٣٧النور).

الرجل منهم كان يناول بأصابع يديه البضاعة لمن حوله، وقلبه مشغول بالكلية بذكر الله ﷻ، ولا يشغله ذلك عن ذاك، وهذا ما نسميه الفارق الجامع، أو نسميه أبو العينين، أو صاحب المشهدين، أو صاحب المشربين، لأنه لا يشغله شأن عن شأن، لا يشغله الحق عن المسئوليات التي كلَّفه بها نحو الخلق، ولا يشغله الخلق طرفة عين عن ذكر الملك الحق ﷻ.

وهذا كمال التأسي بسيدنا رسول الله ﷺ، فقد كان تنام عينه وقلبه لا ينام، وكان لا يقوم إلا على ذكر، ولا يجلس إلا على ذكر لله، ولا يتحرك إلا على ذكر لمولاه جل في علاه.

اجعل القلب لله، والجسم لخلق الله، والكيفية التي يتم تحقيق ذلك بها سيتولاها الله إذا صدقت النية والعزيمة إن شاء الله، أى لا تقل: كيف أوفق بين هذا وذاك؟ لكن اقبل على الله، واعزم عزماً أكيداً:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق)

فإن الله سيعينك ويقويك، حتى تجمع بين المشهدين، وتشرب بالمشربين، وتكون من أهل هاتين النظرتين، وهذين العينين، لأن هذه سُنَّة النبي الرشيد في أصحابه الكرام رضوان الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين.

لكن حقيقة الزهد أن الإنسان يقوم بما كلَّفه به الواحد، ويطلع بكل ما عليه في الدنيا من مسئوليات، وفي نفس الوقت لا يغفل عن طاعة الله ومتابعة الحبيب نَفَساً ولا أقل.

هذه باختصار شديد أحوال سلفنا الصالح رضوان الله عليهم التي نحن في أمَسِّ الحاجة إليها في هذا الزمان، لا نحتاج إلى من يهجر الدنيا والبلدان ويقيم في الوديان وفي الصحراء، أو في المساجد، ويترك الدنيا، لأن هذه رهابنية وقد قال الحبيب ﷺ:

{ إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَنَا بِالرَّهْبَانِيَّةِ الْحَنَفِيَّةَ السَّمْحَةَ }[٣]

ولا نريد من ينشغل بالدنيا الدنية بالكلية حتى يعمى عن سواء السبيل فيضل ويزل، ويخوض المعضلات، ويركب الصعب في سبيل تحصيل الأقوات والأرزاق، والوصول إلى ما يصبوا إليه في هذه الحياة، إن كان من حلال أو من حرام، لأن هذا هو الذي ورَّط مجتمعنا، وجعل حالنا الآن على غير ما يُرام، لكن نريد في هذه الآنات رجال قلوبهم مع الله تشاهد، ونفوسهم مع خلق الله في هذه الأجسام تجاهد:

في الأرض أجسامهم والعرش	قلوبهم صفت والله هاديها
هم الشموس لشرع المصطفى	سفينة الوصل بسم الله

٣١ معجم الطبراني عن سعيد بن العاص رضي الله عنه

ثمار الزهد

من يُكرَم بهذا المقام يكون من ورثة الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، وعلاماته في نفسه أن يشعر بحلاوة الطاعة، وأن يتذوق حلاوة الإيمان، وأن يجد في قلبه دائماً وأبداً نشيج ووجيب وحنين وعشق وهيام إلى حضرة الرحمن، لا ينتهي ولا يكف على مدى الزمان.

بل دائماً يزيد شوقه، وينمو توقه، ولا ينطفئ لهيب نيران الحب في فؤاده، وكأن قلبه لظى من نار المحبة المشتعلة فيه إلى خالقه وباريه، ولا يحس بهذا الشوق ولا يكابده إلا هو، ولا يشعر به من يعاديه، ولا حتى من يسامته ممن حوله، لأنه يجعل هذا سراً خفياً، ونوراً جلياً في فؤاده نحو خالقه وباريه ﷻ، تصديقاً لقول الله:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء).

فإذا شعر الإنسان في لحظة أنه لا يجد للطاعة حلاوة، ولا يجد لمناجاة الله ﷻ أنساً، ولا يجد لتلاوة كتاب الله ﷻ طعماً، فيعلم علم اليقين أن قلبه به آفة، وأصبح سقيم، ولذلك عجز عن تذوق طاعة الله، وكلام الله، وحديث حبيب الله ومصطفاه ﷺ.

فإذا فقد الخشوع، وإذا عجز في القيام بين يدى الله ﷻ عن الحضور فاعلم أنه يحتاج إلى جراحة استئصال، يستئصل الدنيا وزهرتها وشهوتها من مهجة قلبه وثمرة فؤاده: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ (٤٧الحجر) ينزع كل ذلك من الصدور."عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا" ماذا كانت النتيجة؟ أحسَّ بحلاوة الإيمان، وشعر بلذة المناجاة: "فَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَأَسْهَرْتُ لَيْلِي" لا كَبَد ولا مجاهدة، وإنما حلاوة وطلاوة، ولذلك تجد منهم من كان يُصر على الاستزادة، والنبي ﷺ يكفه ويرده إلى القلة، ويقول: يا رسول الله إني أقوى على أكثر من هذا، لما يجد من الحلاوة في فؤاده عند القيام بهذه الأعمال، بعد صلاح النية للواحد المتعال ﷻ.

مقام المراقبة

والعلامة التي هي ختم الربوبية في صلاح هذا العبد لمقامات الولاية الإلهية: أن يختم الله قلبه بختم المراقبة والخشية لجلال الله وعظمة الله، حتى يكون متحققاً ظاهراً وباطناً بقول الله:

﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (٧المجادلة).

يشعر دائماً أنه من ربه قريب، وإذا ناداه يحس أنه له مجيب، وعندما يناجي الله يشعر داخلياً وقلبياً وباطنياً أن الله ﷻ يسمع كلامه، ويُبصر خوافيه، ويهيم عشقاً حتى كأنه يسمع بأُذن قلبه كلام خالقه وباريه، رأى النبي ﷺ سيدنا أبا بكر، وسيدنا عمر يتلوان كتاب الله ﷻ، وكان سيدنا أبو بكر يتلو بصوت خافت، وسيدنا عمر يتلو بصوت جهوري، فقال لأبي بكر ﷺ:

{ لِمَ تُخَافِتُ؟ قَالَ: إِنِّي لَأُسْمِعُ مَنْ أُنَاجِي، وَقَالَ لِعُمَرَ ﷺ: لِمَ تَجْهَرُ بِقِرَاءَتِكَ؟ قَالَ: أُفْزِعُ الشَّيْطَانَ، وَأُوقِظُ الْوَسْنَانَ }[٣]

هذا مقام وهذا مقام، وحتى نعرف قيمة من وصلوا لِعَلِّي المقامات في عدم استغنائهم عن المرشد قال النبي ﷺ لأَبِي بَكْرٍ ﷺ:

{ ارْفَعْ مِنْ صَوْتِكَ شَيْئًا، وَقَالَ لِعُمَرَ ﷺ: اخْفِضْ شَيْئًا }[٣] .

٣٢ مسند الإمام أحمد وسنن البيهقي عن علي بن أبي طالب ﷺ
٣٣ مختصر قيام الليل للمروزي ،وفضائل القرآن للقاسم بن سلام

حتى من وصل لِعَلِّي المقامات يحتاج إلى المرشد، ولذلك قال إمامنا أبو العزائم ﷺ: (لو ظن أكمل سالك في طريقي هذا أنه استغنى عن المرشد وعن الإخوان فقد ضل وأضل) كيف يستغني ولا منتهى لكمالات الله، وجمالات الله ﷻ؟!.

إذن العلامة التي لنا في هذا الإنسان: أن نراه زاهداً في الدنيا، لا تُطرف عينه شهواتها ولا شبهاتها، وإذا اختبرناه بها نجد عنده اليقين، ولذلك كان الصالحون يختبروا المريدين في بداياتهم بهذه الأشياء، الإمام أبو العزائم ﷺ كان يقول: (أول شيء نختبر به مريدنا المال، فإن وقع في شراكه فلا يصلح لصحبتنا).

والعلامة التي بالنسبة لنفسه إن كان صادقاً في أحواله: أن يراقب أحواله في المناجاة، وفي ذكر الله، وبين يدى الله، وعند تلاوة كتاب الله، هل عنده إعراض؟ هل عنده صدود؟ هل عنده سهو؟ هل هناك غفلة؟ هل هناك نسيان؟ هل هناك عدم حضور؟ وغير ذلك، فإذا وجد شيء من ذلك يذهب إلى الطبيب، ويعرض عليه غمته، ويأخذ بإشارته حتى يأتيه الشفاء، وعلامة الشفاء: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩الشعراء) صاحب القلب السليم هو صاحب الذوق المستقيم، وصاحب المناجاة مع حضرة الكريم ﷻ.

وعلامة أنه أصبح من المقربين ومن الصالحين: أن يجد قلبه يتقلب دائماً بين يدى مُقلبه، يقع دوماً نظر قلبه على الحق قبل أن تقع عين جسمه على الخلق، لا يراقب الخلق إلا بعد أن يراقب الحق، وينظر إلى الحق ﷻ، ودائماً معه قول الله:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (٤الحديد).

إذا انتقل التعامل مع الله، وأصبح الإنسان يتعامل مع مولاه حتى في أمور هذه الحياة، حتى في شهواته التي لا غِنى له عنها، حتى في ضروراته التي لا يستطيع أن يستغني عنها، أيضاً يتعامل فيها مع الله ﷻ.

يشهد الله ﷻ في كل أمر، يشهد يد الله هي التي تعطيه إذا امتدت أى يد من الخلق إليه، يشهد الله ﷻ هو الذي يطعمه إذا وجد أى طعام مُدَّ إليه، يشهد الله ﷻ هو الذي يوجهه، وهو الذي يحادثه، حتى وصل الحال في مقام قال فيه الإمام الجنيد ﷺ: (بقى لي ثلاثون عاماً أخاطب الحق في الخلق، والخلق يظنون أني أتحدث معهم) أصبح تعامله كله مع الله، وكلامه مع الخلق يكون هنا إشارات وليس عبارات، ويقولون عليه: فلان من أهل الإشارة، لماذا؟ لأنه يحدث الحق، وإن كان ينظر إلى الخلق، فإنه دائماً وأبداً يتعامل مع الله جل وعلا، ظاهراً وباطناً:

خذ ما صفا لك من إشارة عارف	**فالعارفون كلامهم يشفي السقام**

نسأل الله ﷻ:

أن يجملنا بجمال عباده الأتقياء الأنقياء الرقباء ...

وأن يتوجنا بتاج محبته، ويملأ قلوبنا بأحوال أهل حضرته، ويُفرغ على أفئدتنا من سرائر قدس عزته ...

ويجعلنا في الدنيا دوماً جالسين على أرائك قربه ومودته، وفي الآخرة يمتعنا أجمعين بالنظر إلى جمال طلعته ....

ويجعلنا مزينين بزينة أحبته في قوله:

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٢٩ الفتح)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الثالث :مقام الخُلَّة

مقام الخليل

تعلق القلب بالله

حقيقة الإنسان

التقصير مقام العارفين

سر الخُلَّة

اخلاص العمل لله

الصدق

عناية الله

مقام اليقين

علامة أهل الخلة

الخُلُق الكريم

الفصل الثالث

مقام الخُلَّة ٣٤

الحمد لله الذي بيده وحده وجهة الخلق كلهم، فمنهم من اجتباه وولى وجهه إلى الله، ومنهم من نال نصيباً من رضا الله، فوجهه الله ﷻ لما ينفعه في الدنيا، وما يرفعه في الآخرة في جنات النعيم، ومنهم من سخط عليه الله وغضب عليه الله فجعله مشغولاً بالكلية بدنياه، وزاده الله ﷻ بالهموم والغموم حتى لا يلتفت نَفَساً أو أقل إلى حضرة الله، قوم شُغلهم بمولاهم، وقوم شُغلهم بأُخراهم، وقوم شُغلهم بدنياهم، اللهم اجعلنا من أهل الفريق الأعلى ..

إخوانى وأحبابي القراء الكرام بارك الله ﷻ فيكم أجمعين:

لِمَ جعل الله ﷻ أيام الحج تتكرر كل عام على مدى الأيام إلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها؟ ليحصل لطلاب هذا المقام الكريم هيام، فيخلعوا كل غير وكل غين وكل بعد وجفا يباعد بينهم وبين الملك العلام، ويمشوا موقنين على قدم إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام.

ولم ينس الله ﷻ طلاب الآخرة، فجعل طلاب الآخرة يسعون إلى البيت الذي بناه الخليل، ووفقهم وأعانهم وجعل لهم على ذلك الأجر الجليل يجدونه عند الله ﷻ، منه عاجل في الدنيا في إجابة الدعاء، وتحقيق الرجاء، والبركة في الأموال، ومنه آجل لا يعلم مداه إلا الله جل في علاه، سنراه جميعاً يوم لقاء الله جل في علاه.

---

٣٤ المعادي – الخميس ٢٧ من ذي القعدة ١٤٣٥هـ ٢٠١٣/١٠/٣م

مقام الخليل

أما أهل المقام العالي فهم الذين يطلبون مقام الخليل، ولذلك قال الله ﷻ مُلمعاً إلى ذلك في كتابه الجليل:

﴿ فِيهِ ءَايَـٰتُۢ بَيِّنَـٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (٩٧آل عمران)

لم يقل الله (مكان إبراهيم) لأن المكان هو الذي وطأه بأقدامه، وهذا الكل يصل إليه، لكن المقام الكريم الذي أقامه فيه الكريم، والذي قال فيه في الذكر الحكيم:

﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلاً ﴾ (١٢٥ النساء)

مقام إبراهيم غير مكان إبراهيم، فالمقام هو الذي قال فيه الله ﷻ في القرآن: ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ (٩٧آل عمران) آمناً من الحجاب، وآمناً من البعد عن الله، وآمناً من الأهواء والشهوات، وآمناً من الحظوظ والملذات، وآمناً من شر الإنس والجن ... لأنه دخل مقام الأمان الإلهي: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ (٨٢ الأنعام) لأنه إيمان خالص لله ﷻ.

مقام سيدنا إبراهيم مقام الخلة، وليس أرقى منه إلا مقام المحبة، وهذا خاص بسيد الأحبة سيدنا رسول الله ﷺ، ولذلك كانت الإشارة في ترتيب المقامات في عروج حضرة النبي ﷺ في سماوات القرب من الله، ليست السماوات الدنيوية أو السماوات الجيولوجية، ولكنها سماوات القرب، لأن السما يعني العلو، فكان أعلاهم مقام سيدنا إبراهيم لأنه كان في السماء السابعة، ومسند ظهره إلى البيت المعمور.

مَن الذي تجاوز كل هذه المقامات ولم يلتفت إلى هذه الدرجات؟ سيدنا رسول الله ﷺ هو وحده رفيع المقام، وهو وحده الذي أفرده الله ﷻ بالتقدمة على جميع الأنبياء والمرسلين، والإمامة لكل إمام، لكن لا يستطيع أحد بلوغ هذا المقام إلا إذا سلك أولاً في مقام الخلة، وهذا سر البداية لأهل العناية.

فكرر الله لنا هذه الأيام في كل عام لنستحضر، البعض يستحضر قصة إبراهيم تارة مع قومه، وتارة في بناء البيت، وتارة في ذبح الأضحية مع إبنه إسماعيل، وتارة مع ملك مصر عندما دخل هو وزوجته ... وكل هذه القصص قال فيها الله:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (١١١يوسف).

لكن أهل الخصوصية، وذوي الأفضلية، والأرواح التقية النقية التي تسمو دائماً وأبداً إلى المقامات العلية، وتتطلع في كل أنفاسها إلى القرب من رب البرية، ويريدون دائماً وأبداً أن يجلسوا على مائدة خير البرية الشهية، ولا يشبعون من طعام هذه الحقائق، ولا من شراب هذه الرقائق، هؤلاء يهتمون بسيره وسلوكه مع الله ﷻ، حتى يمشون على دربه: (٧٨الحج)

﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾.

ومن هنا وضع الأئمة المرشدون، والقادة الروحانيون سُلَّم التدرج للمريدين، لمن أراد أن يصل إلى مقام الخُلَّة، ويدخل في قول رب العالمين:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴾ (٧٥ الأنعام)

من فصل الموقنين، وهو فصل الأوائل عند رب العالمين ﷻ.

تعلق القلب بالله

بداية البدايات هي تعلق القلب بالكلية برب البرية – وافهموا قولي – لا أقول تعلق الجسم، لأن الجسم يسعى فيما كلَّفه به الله ﷻ، ولا بد له من ذلك، ولا يتم له الأمر إلا إذا كان على ذلك، لا بد أن يكون الجسم قائماً بالتكاليف الإلهية الشرعية التي كلَّفه بها الله ﷻ نحو أولاده، ونحو زوجه، ونحو والديه، ونحو جيرانه، ونحو ذوي أرحامه، ونحو كل من وصلهم الله ﷻ به عن طريق الصلات القرآنية، والوصايا المحمدية، لا بد للجسم من ذلك.

لأن هناك في هذا المقام بعض من يتعلل بعلل نفسية، وليست علل حقيقية، فيقول: لا أستطيع أن أمشي في هذه المقامات، ولا أرتفع في هذه الدرجات إلا إذا تركت الدنيا بالكلية، وإذا تركت الدنيا فمن يُطعم أولادي؟ ومن يسعى على رزقي؟ ومن يقوم بواجبات زوجي؟ وهذه علل نفسية، لأنك مكلف من الله ﷻ برعاية هؤلاء، ورعاية ذاتك في قول الحبيب ﷺ:

{ كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ }[٣٥]

لم يطلب الله ﷻ منك أن تجلس بجسمك تنظر دائماً إلى السماء ترقب فضل الله، لأن فضل الله في السماوات والأرض، والله ﷻ كما أنه ليس في الأرض فهو ﷻ ليس في السماء، ولا يخلو منه زمان ولا مكان، ولا يحتاج إلى شغل بالجسم، لأن الجسم فان، وإنما يريد الباقي فيك، لأنه هو الذي يتعرف على وجه ربك: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ (٢٧ الرحمن).

٣٥ الصحيحين البخاري ومسلم وسنن الترمذي عن عبد الله بن عمر ﵄

يريد الحقيقة الراقية الباقية فيك، وهي التي تستطيع أن تتعرف على الباقي ﷻ، الروح والقلب والفؤاد، لكن الجسم لا يستطيع أن يتعرف على حضرة الرحمن، الجسم لا يتعرف إلا على محسوس وملموس، والله ﷻ تعرفه حقائق القلوب بحقائق الإيمان كما قال الإمام علي ﷺ وكرَّم الله وجهه.

فيقوم الإنسان بما كلَّفه الله به خير قيام، لأننا المثل الأعلى للأنام في كل عمل، وهكذا علَّمنا الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام، فخير من يقوم بأى عمل يُسند إليه نحن، وخير من يقوم بحقوق الزوجة والأولاد نحن، وخير من يصل الأرحام نحن، لأن هذا تكليف كلّفنا به شرع الله.

لكن هذا جانب والله ﷻ لا يريد منا إلا القلب، الذي سُمِّي قلباً لأنه يتقلب، فيريد الله ﷻ منك ألا تُقلبه في الدنيا ولا في الأموال ولا في العيال، وإنما تجعل نظره دائماً إلى الواحد المتعال ﷻ، وهذا بداية المقام، يقول في ذلك رجل من الصالحين:

قد كان لي قبل أهواءٌ مفرقةٌ	فاستجمعت مذ رأتك العين أهوائي
تركت للناس دنياهم ودينهم	شغلاً بذاتك يا ديني ودنيائي

يقصد بالعين عين القلب، لأن عين الرأس لا ترى الغيوب، ولا نور علام الغيوب ﷻ، فالقلب لله، والله ﷻ لا يرضى أن تُدخل فيه سواه، لأن هذا هو الموضع النوراني الذي تتنزل فيه أنوار الله، وألطاف الله، وأسرار الله، وحِكَم الله، وعلوم الله، وكل شيء نوراني من الله يتنزل في قلب العبد التقي الذي وجَّه قلبه إلى مولاه جل في علاه.

فبداية الطريق إلى الله، وبداية السالكين، وبداية الواصلين، وبداية المقربين، وبداية المحققين أن الإنسان يوجِّه القلب بالكلية لمقلبه ﷻ، وذلك لا يتنافى مع القيام بواجبات الجسم كما قلنا.

الشيخ الجنيد يصف حاله في هذا المقام فيقول: (بقى لي ثلاثون عاماً أخاطب الحق في الخلق والخلق يظنون أني أتحدث معهم) هذه نظرة شهودية تحتاج إلى رُقي في المقام.

حقيقة الإنسان

ونذكر لمحة بسيطة في ذلك حتى لا يخلو المقام من تعريف: الإنسان يقوم أصلاً بما جمَّله به الله من صفاته، فإذا ارتقت صفات الله صار الجسم جيفة قذرة، لا يستطيع أن يسمع إلا إذا تجلى على سمعه السميع، ولا يستطيع أن يبصر إلا إذا تجلى على بصره البصير، ولا يحيا إلى إذا تجلى عليه الحى، ولا يقوى إلا إذا تجلى عليه القوي ... إذاً الإنسان مُجمَّل بأوصاف الله.

فإذا عاش الإنسان في الحياة النورانية الملكوتية رأى على التحقيق أن البشر لا يتحركون إلا بأوصاف خالق البشر، فيرى حقيقة المحرك، كما يقول الرجل الصالح: (أراني كالآلات وهو محركي) الذي يحرك آلة الجسم هو الله ﷻ، فيرى في نفسه، ويرى في غيره أن المحرك للجميع هو الله ﷻ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ (٢٢يونس)

لا يستطيع أى إنسان أن يتحرك حركة أو يطرف طرفة أو ينطق بكلمة إلا إذا أراد رب العباد، لكن إذا أراد ولم يُرد الله لا يكون إلا مراد الله، هذه هي الحقيقة لكننا ننسى وننسب ذلك لأنفسنا، وهذه خطيئة يُحاسب العارفون أنفسهم عليها، ينسبون لأنفسهم ما لا يُحبه الله من الذنوب والعيوب والغفلة والبُعد، لكن ينسبون كل فضل وكل توفيق وكل إكرام وكل إنعام لله ﷻ.

مَن الذي علَّمنا ذلك؟ الخليل إبراهيم عليه السلام:

﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الشعراء)

الله ﷻ هو الذي يُطعمني لأن هو الذي خلق النعمة، وهو الذي جاءني بالنعمة، وهو الذي حرك اليد لترفع النعمة، وهو الذي حرك الأضراس والأسنان واللعاب وغيره لتهضم النعمة، وهو الذي يحرك الجهاز الهضمي ليتم هضم الطعام، هل هناك أحد يملك إشارة لتشغيل أو إيقاف الجهاز الهضمي؟! لا يوجد.

ثم نسب المرض لنفسه فقال: ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾ لا ينسب العيب إلى الله، لأن المرض عيب، فينسبه لنفسه، لكن ينسب لله كل كمال، ويُنزه الله ﷻ عن كل عيب:

﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ (٧٩النساء).

التقصير مقام العارفين

ولذلك تجد الصالحين الصادقين، والعارفين الأكابر، ومن على شاكلتهم دائماً وأبداً يهضم نفسه، فلا تجد أحد منهم يُدِل بنفسه، أو يزهو بنفسه، أو يفتخر بنفسه، إذا رأيت من يزهو بنفسه، أو يُدل بنفسه، أو يفتخر بنفسه فاعلم أن بينه وبين مقام المعرفة بون بعيد، وقد قال في ذلك إمامنا أبو العزائم ﷺ وأرضاه: (لا تُطلق لسان العبارة بأسرار مزيتك لأن ذلك يكون نقص في مقام عبوديتك).

عندما تجالس واحداً وتقول: أنا كذا، وأنا رأيت كذا، وأنا قرأت كذا ... أنت مَن؟! أتنسى مفيض الفضل والجود والعطا، أنت بتوفيق الموفق، وبإعانة المعين، وبقوة القوى، إذا تخلى عنك طرفة عين ماذا تصنع؟! أو ماذا تستطيع أن تفعل؟!.

فتجد العارفين دائماً وأبداً على هذه الشاكلة، تجد مثلاً الإمام البوصيري ﷺ ينظم قصيدته البردة ويقولها في حضرة رسول الله مناماً، فيخلع عليه رسول الله ﷺ بردته - أى عباءته - ويمسح عليه، وكان في هذا الوقت مشلولاً، فيقوم من النوم صحيحاً معافى! ومع ذلك يقول في ختامها، وانظر إلى العارفين:

أمرتك الخير لكن ما ائتمرت به	وما استقمت فما قولي لك استقم

يتهم نفسه بالتقصير، وقد قالوا: (مقام العبد إذا كان من أهل اليقين التقصير) أن يرى نفسه دائماً مُقصراً، وهل يبلغ أحد في الدنيا مهما كان قدره مقام الكمال؟! لا!

إذاً الكل مُقصر دوماً في حق من يقول للشيء كن فيكون ﷻ.

ورجل عارف آخر ذهب إليه قوم يطلبون نصحه وإرشاده، فواجههم بقوله:

أغير تقي يأمر الناس بالتقى	طبيب يداوي والطبيب سقيم

وتصفح سِير الصالحين، وأحوال العارفين المتمكنين ....:

تجدهم كلهم على هذه الشاكلة!!!

ومن ليس على هذه الشاكلة فهو مُلبَّس عليه، أو مبتدئ وضحكت عليه نفسه أو الشيطان ...!!!

فظن أنه منتهي (أى واصل !!!) ، وهو ما زال في بدايات الطريق، فعمي عن طريق أهل التحقيق !!!

وهؤلاء كثير، وذلك من الغرور الذي تزينه له نفسه.

فعلَّمنا سيدنا إبراهيم أولاً أن يمتلئ القلب شغفاً وحباً بالكلية لحضرة الله، حتى يكون أعز ما يتمناه هو قربه من الله ﷻ ورضاه، أو سماع ذكره، أو شهود أنواره، أو التلذذ بكلامه على لسان أى رجل من خلق الله ﷻ.

سر الخُلَّة

لِمَ سُمِّى سيدنا إبراهيم بالخليل؟ ورد في الصحيحين أن سيدنا إبراهيم كان يسعى لجلب ضيف ليأكل معه، وكان لا يأكل طعام إلا إذا حضر ضيف، ولذلك يُسمي أبو الضيفان، قال النبي ﷺ: { إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ }[٣٦]، وورد أيضاً أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا خير البرية، فقال النبي ﷺ:{ ذَاكَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام }[٣٧]

فدخل إبراهيم بيته فوجد مَلَكاً على هيئة رجل، فقال له: لِمَ دخلت البيت بغير استئذان، فأجابه المَلَك: أذن لي ربُّ الدار، فعرف أنه جاء من عند الله ﷻ، ثم قال المَلَك: أتدري لِم جئت؟ قال: لا، قال: جئت لأُعلم عبداً بأن الله ﷻ اتخذه خليلاً، قال: دُلني على هذا العبد، والله لو دللتني عليه وكان في أقصى بقاع الأرض لذهبت إليه لخدمته، قال: أنت خليل الله ﷻ، قال: أنا! أنا! وكأنه يعجب، لأنه لا يرى لنفسه مع ربه حالاً ولا فعالاً ولا مقالاً ولا مقاماً ... لا يرى لنفسه مع الله ﷻ شيئاً قط!!

فقال المَلَك: أتدري لِمَ سُميت خليلاً؟ قال: لا، قال: لأنك لا تعمل إلا لله، ولا تُعطي إلا لله، ولا تقبل شيئاً من خلق الله.

---

٣٦ سنن الترمذي والحاكم في المستدرك عن أبي هريرة ﷺ
٣٧ صحيح مسلم وسنن الترمذي عن أنس ﷺ

اخلاص العمل لله

هذه البداية، لأن الدليل على حب الله أن يكون العمل كله لله، حتى طعامي، وحتى شرابي، وحتى نومي، وحتى لهوي مع أولادي، وحتى نكاحي لزوجي ... أى عمل تكون نيته لله:

{ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ }[38]

ليس الشأن هنا شأن عبادات لأن حياة هذا الرجل كلها أكمل العبادات، لأن صاحب العبادات المحدودة المعدودة يريد أن يتعبد في مسجد، أو يريد أن يتعبد في تكرار ختمات القرآن، أو يريد أن يذكر الله على مسبحة ويعد ... كل هذه عبادات محدودة ومعدودة، لكن صاحب هذا الشأن حاله كله عبادة لله ﷻ:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام)

حتى الممات!!، وهذا شيء غريب لو كُشف عن سره لطارت الأرواح من الأشباح! ولكن ذلك لأهل الخصوصية.

٣٨ صحيح البخاري وسنن أبي داود عن عمر بن الخطاب ﷺ

إذاً من أراد أن يبلغ هذا المقام العظيم، وهو مقام الخلة، أو يكون له شميم من هذه المقامات، ونصيب من هذه الدرجات العاليات لا بد أن يعقد العزم أن تكون أعماله وأقواله وأحواله كلها لله، وما دامت لله لا بد أن توزن بشرع الله، فمن يدَّعي أن هذا العمل لله وهو مخالف لشرع الله فهو مدَّعٍ كذاب، لا بد أن تكون أعماله مطابقة لشريعة الله على الدوام، فينوي أن يكون كل عمله لله، فتكون حياته كلها لله ﷻ، قال ﷺ:

{ مَنْ أَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ }[٣٩]

وفي رواية أخرى:

{ أحِبَّ فِي اللَّهِ، وَأَبْغِضْ فِي اللَّهِ، وَوَالِ فِي اللَّهِ، وَعَادِ فِي اللَّهِ، فَإِنَّكَ لا تَنَالُ وِلايَةَ اللَّهِ إلا بِذَلِكَ }[٤٠]

من الذي يستطيع على هذا الجهاد؟ الذي ينوي إذا وجد المعين ﷻ صدقاً وإخلاصاً في قلبه يُعينه حتى يُبلِّغه المراد، لأن كل تفصيل حياة سيدنا إبراهيم في هذه الكيفية، بلَّغه الله كل مراد لأنه صدق في توجهه لرب العباد ﷻ، ولذا قيل: ناجى الله ﷻ إبراهيم وقال له كما ورد بالأثر : { يا إبراهيم أتدري لِمَ اتخذتك خليلاً؟ لأنك جعلت بدنك للنيران، ومالك للضيفان، وولدك للقربان، وقلبك للرحمن }

أعطى لكل حقيقة حقها، مشغول بالكلية بمولاه، وسماه الله خليلاً لأن محبة الله تخللت كل أفياء قلبه، فلم يبق موضع ذرة في قلبه إلا ومُلِيء وغُمر بمحبة الله ﷻ، حتى أن الملائكة تعجبت من ذلك، فسألوا الله ﷻ في ذلك، فأراد الله ﷻ أن يُعلمهم حقيقة ذلك، فأمر مَلَكاً من الملائكة أن يهبط إلى الأرض، وأعطاه جمال الصوت، فنزل المَلَك وذَكَر الله بصوت رخيم، فغاب إبراهيم عن وعيه، وهام بقلبه في ربه، وبعد أن أفاق قال: بالله عليك أعد عليَّ هذا الذكر الذي ذكرته، قال: لا أعطيك هذا حتى تدفع الثمن،

---

٣٩ سنن أبي داود والطبراني عن أبي إمامة ﷺ
٤٠ المعجم الكبير للطبراني وحلية الأولياء لأبي نعيم عن عبد الله بن عمر ﷺ

قال: وما الثمن؟ قال: أن تعطيني وادٍ مملوءاً بأغنامك وأبقارك، قال: لك كل ما أملك من الأبقار والماعز والأغنام والجِمال على أن تُسمعني ذكر الله ﷻ الذي سمعته منك الآن، فقال: صدق من سماك خليلاً!!.

مُهَيَّم بالله جل في علاه، لا ينشغل عن الله ﷻ طرفة عين، ورباه الله ﷻ على عنايته، وأنتم تعلمون أنه عندما واجه قومه ودعاهم إلى طاعة الله، فكذبوه، وخرجوا في يوم عيد فسبقهم إلى أصنامهم التي يحتفلون بالعيد عندها وكسَّر رؤسها، فلما رأوها قالوا لا يفعل ذلك إلا إبراهيم لأنه دائماً يذكرها:

﴿ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتًى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ﴾ (٦٠ الأنبياء)

فأحضروه، وقالوا له كما أخبر القرآن: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴾ (٦٢ الأنبياء).

الصدق

وهنا الخُلُق الثالث الذي لا بد منه للسالك في طريق الله وهو أن يكون صادقاً في كل قول ولا يكذب، ولو كان الكذب سيُنجيه من الموت ويجعل له حياة، وكما قيل: (إن كان الكذب يُنجي فالصدق أنجى) إذاً ماذا يفعل؟ قال ﷺ:

{ إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ }[٤]

والمعاريض غير التقية، فالتقية يريد بها شيئاً عند الخلق غير الذي في نفسه، لكن المعاريض يريد شيئاً للحق ﷻ لا يستطيع أن يتحمله خلقه، فقال إبراهيم:

﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَـٰذَا ﴾ (٦٣الأنبياء)

وأشار بأصبعه الأكبر، هو يقصد أصبعه الأكبر، وهم فهموا أنه يقصد الصنم الأكبر.

فجمعوا الأحطاب ليحرقوه، واستمروا – كما قيل – لمدة شهرين يجمعون الأحطاب ويتنافسون فيها، وأوقدوا فيها النار، وعندما اشتعلت النيران لم يستطيعوا أن يقتربوا منها ليلقوه فيها، فجاءهم الشيطان وأرشدهم إلى وسيلة يقذفونه بها في النار، بأن يجعلوا خشبتين على الجبل، وبينهما خشبة متحركة، ويُجلسونه عليها، ويُكتفوه ويربطوه بالأحبال، ويُحركونها بشدة فيُلقونه في النار.

---

٤ سنن البيهقي عن عمران بن حُصين ﷺ

ضجت الملائكة وقالوا: يا ربنا نبيك ورسولك يُحرق بالنار، فقال رب العزة ﷻ مُلقناً لهم درساً عظيماً في التوحيد: هل استغاث بكم؟ قالوا: لا، قال: إن كان استغاث بكم فأغيثوه، قالوا: ولا بد، قال: أنزلوا عظيمكم، انزل يا جبريل، فنزل جبريل وهو في الفضاء قال: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا، قال: ألك حاجة إلى الله أبلغها له: قال: علمه بحالي يُغني عن سؤالي، فكانت النتيجة:

﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ (الأنبياء).

أحرقت النار أحباله، لأنها لا تحرق إلا بإذن الله ...

ونزل الأمين جبريل، فمد يده في الجنة وجاء بشجرة تفاح وغرسها بجواره !!!

وجاء بأريكتين من الجنة أجلسه عليهما ...!!

ووضع أصبعه في الأرض فنبعت عين ماء ...!!!

فجلس إبراهيم في وسط النار ...!!! يأكل من التفاح ...!!!، ويشرب من الماء ...!!! وهم يظنون أن النار أكلته وانتهت منه !!!!

حتى إذا خمدت النار بعد مدة طويلة فوجئوا بهذا الوصف الكريم.

عنـاية الله

هذه العناية الإلهية التي شمل الله ﷻ بها إبراهيم هي بشرى لكل من استمسك بدين الله، وصمم ظاهراً وباطناً أن يكون قلبه معلق بمولاه، بأنه لو اجتمع عليه الناس جميعاً كما اجتمعوا على إبراهيم فلن يستطيعوا ضُرَّه، لأن الضار النافع هو الله، وإن كادوا له المكائد فإن الناصر والحامي له هو الله الذي حمى إبراهيم في لهب النار.

ولو حتى سجنوه أو جعلوه في مكان ومنعوا عنه كل ما يريد فإن الحق يوصل له كل ما يريد في أى مكان !!!

لأننا وإن كنا نراه بعيد فليس هناك بعيد عند الحميد المجيد ﷻ، المهم أن نعمل بقول الله:

﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ (٣الطلاق).

إذاً لا بد من ثلاثة أمور، أولاً: ملء القلب بحب الله.

ثانياً:

أن يكون عمله وقوله كله لله، لا يبغي من الخلق نفعاً ولا يخشى منهم ضراً، ولا يرغب في خير بسببهم إلا إذا كان عن إذاً من الله، لأن الخير كله بيد الله ﷻ، إذاً ينوي في كل أفعاله وأقواله وجه الله ﷻ.

ثالثاً: أن يتحرى الصدق، قال ﷺ:

{ علَيْكُمْ بِالصِّدْقِ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا }[٤]

٤٢ صحيح مسلم وسنن الترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ

ومن أول البنود التي يأخذها مشايخ الطريق على المريدين الصدق، سيدي عبد القادر الجيلاني ﷺ وأرضاه كان شاباً يافعاً، وكان يسكن مع أمه وأخيه في بلاد فارس، واستأذن من أمه أن يأتي إلى بغداد لطلب العلم، ولا يرجع إلا إذا حصَّل العلم، فقالت له أمه: عاهدني على الصدق، فعاهدها على الصدق – نساء مربيات كالنساء اللاتي رباهن سيدنا إبراهيم ﷺ - وقالت له: لقد ترك أبوك لك ولأخيك ثمانين ديناراً فخذ نصيبك وسافر، ووضعت له الدنانير داخل الجلباب وخاطته بالخيط حتى لا يفتحه إلا إذا وصل إلى بغداد، وسافر مع قافلة، لأنهم كانوا لا يمشون إلا في قوافل لانتشار قُطَّاع الطريق، فخرج على القافلة قطاع طريق، فأخذوا ما مع الناس، ثم جاءوا إليه فقالوا: ما معك؟ قال: معي أربعون ديناراً، فأخذوا ينظرون إلى بعضهم ويتبسمون، ثم أخذوه إلى رئيسهم، فقال: ما معك يا غلام؟ قال: أربعون ديناراً، ألا تُصدق! هذه هي الدنانير، فلما رآه كذلك قال: لِمَ لم تكذب؟! قال: لأن أُمي عاهدتني على الصدق وعدم الكذب، قال: يا قوم إذا كان هذا لا يكذب لأنه عاهد أمه على الصدق فما بالنا مع الله ﷻ؟!! أنا تائب إلى الله على يد هذا الغلام، قالوا: ونحن معك، فقال: رُدُّوا إلى القافلة أموالها وأشياءها دليل على صلاح التوبة، فكان الصدق هو المنجي له مع أنه كان شاباً في بداية حياته مع الله ﷻ:

الصدق نور يقين كشف حقيقتي	به تنجلي الأسرار حال الشهادة
والصدق سُلَّم للوصال ومنزل	يرقى به الصِدِّيق أرفع رتبة

لا بد من الصدق، يقول تعالى فى: (١١٩ التوبة):

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾

فالذي يريد أن يكون من الصديقين أو من أهل مقام الخلة لا بد أن يكون صادقاً في كل أقواله وأعماله وأحواله، ولا يخش إلا الله ﷻ.

مقام اليقين

والذي يريد أن يكون من أهل مقام الخلة لا بد ألا يسهو عن زوجه وولده، ويُلاحظهم في شريعة الله، ويُربيهم على تقوى الله، ويؤدبهم الأدب الواجب مع من يريد أن يصحب حبيب الله ومصطفاه، وهذا الذي كان مع إبراهيم.

هل هاك رجل يُفكر بعقل سديد أو بفكر رشيد يأخذ زوجه وولد ويضعهم في صحراء جرداء لا زرع فيها ولا ضرع فيها ولا جار فيها ولا ماء؟! لكنه اليقين الذي بلغه إبراهيم، ومقام اليقين هو مقام الصديقية الكبرى.

مقام اليقين:

هو الثقة في الله التي لا يعتريها شك، ولا ينتابها حذر، ولا يخشى من وراءها أى علل، ثقة مطلقة بالله ﷻ .

كإبراهيم، أمره جبريل على لسان الله ﷻ وقال: إن الله يأمرك أن تأخذ هذا الغلام وأمه إلى هذا الموضع، فإن لله في هذا الموضع بيتاً ستبنيه أنت وهذا الغلام، فقام بتنفيذ الأمر على الفور.

وترك معهم جراباً من التمر، وزمزمية ماء، فقالت له زوجته السيدة هاجر: يا إبراهيم إلى من تتركنا ههنا؟

فلم يجبها!!

وكررت هذا النداء ثلاث مرات، ثم قالت: أالله أمرك بهذا؟

قال: نعم، قالت: إذاً لا يُضيعنا.

ينبغي أن تكون الزوجة على هذا المقام، لكن أسير إلى الله، وأرتفع مع أحباب الله، وأترك زوجتي مع الشهوات والحظوظ والأهواء في هذه الحياة !!!!

بذاك أكون قد ربيت عدواً لي في هذا المنزل، لأنها ستسألني إلى أين أنت ذاهب؟ وماذا تفعل؟ وغير ذلك، لكن يجب أن آخذها معي حتى تسير معي في هذا الطريق.

مَن الذي علَّم الغلام أن رؤيا الأنبياء في المنام أمرٌ من الملك العلام ﷻ؟

تعلم ذلك في مدرسة أبيه:

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ (١٠٢ الصافات)

ومن أدبه العالي عبارته، فإن موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام عندما طلب صحبة العبد قال: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا ﴾ (٦٩الكهف) ولم يستطع موسى أن يصبر، لكن إسماعيل عليه السلام قال: ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ أدخل نفسه في الجماعة، فأعانه الله ﷻ على هذه الطاعة.

ولذلك علَّمنا الله ﷻ أن نقول في الصلاة الفاتحة بلسان الجماعة، فلا تقول (اهدني الصراط المستقيم) ولكن:

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ (٦ الفاتحة)

لأن لسان الجماعة أقرب إلى الإجابة، ويُعلمنا الله بذلك أن الدعاء المُجاب المُستجاب يحتاج إلى الجماعة.

علامة أهل الخلة

إذاً علامة أهل الخُلَّة، وعلامة الصادقين، وعلامة الصالحين الذين يرفع الله درجاتهم أن يكون زوجاتهم وأولادهم سائرين على دربهم ماشين على نهجهم بالرفق واللين:

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾

(١٣٢ طه).

مَن أول من آمن برسول الله ﷺ؟ زوجته السيدة خديجة، ومن الصبيان علي بن أبي طالب الذي تربى في بيته، ومن العبيد زيد بن حارثة، الذي سمع بمكانه أبوه فجاء بأعمامه وأخواته إليه في مكة وقالوا: يا محمد أنت من أهل بيت يُكرمون الضيف، ويقيلون عثرة الإنسان، ونحن جئنا لنأخذ إبننا هذا وخذ ما شئت من المال، فقال ﷺ: أو خير من ذلك؟ قال: وما هو؟ قال: اجلسوا معه وخيروه، وسأتركم معه ثلاثة أيام –انظروا إلى اليقين - وأخذوا يفاوضونه، وهو يقول: لا أترك هذا الرجل أبداً، فيقولون له: أترضى بالعبودية وتترك الحرية؟! يقول: نعم!! من أين ذلك؟ من الذي رآه من الأخلاق الكريمة، والجمالات العظيمة في رسول الله ﷺ.

الخُلُق الكريم

كذلك من يبلغ هذا المقام لا بد أن يصل إلى مقام الخُلُق الكريم، قال الله تعالى لإبراهيم الخليل:

{ يا خَلِيلي حَسِّنْ خُلُقَكَ وَلَوْ مَعَ الْكُفَّارِ، تَدْخُلْ مَدَاخِلَ الْأَبْرَارِ }[٤]

إذاً آخر شيء في هذا المقام الخُلُق الكريم على نهج رسول الله، وعلى أوصاف كتاب الله، حتى يكون الإنسان صورة طيبة لأهل الإيمان في هذه الحياة.

نسأل الله ﷿ ...

أن يُبلغنا هذه المقامات ... وأن يرفعنا إلى هذه الدرجات ...

وأن يُعلي شأننا عنده في الطاعات في الدنيا، وأن يجعلنا من أهل المقامات العظيمة في الجنات في الآخرة، وأن يُرينا وجهه الكريم، ويكشف لنا عن حبيبه العظيم، وأن يُبلغنا ظاهراً زيارة بيت الخليل، وباطناً الوصول إلى مقامه الجليل، وأن يتنزل في قلوبنا بمعاني التنزيل والتأويل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

٤٣ المعجم الأوسط للطبراني عن أبي هريرة ﵁

الفصل الرابع :الفتح الإلهي

الكرامة الحقة

عطاءات الصالحين

موانع العطاء

عبادةالتفكر

طيب الكلام

القلب السليم

أوراد المقربين

الوصول

السفر إلى الله

ياقوت العرشى

الفصل الرابع

الفتح الإلهي[44]

إن لله ﷻ غنائم من الفتح الرباني، والكشف النوراني، والعلم الإلهامي، والحِكَم القدسية العلية، وغيرها من أنواع الفتوحات الوهبية ما لا يُعد ولا يحيط به أحد من فضل الواحد الأحد الفرد الصمد ﷻ.

وكلٌ يأخذ على قدره، بما أهَّل الله ﷻ بذلك قلبه وسره، وقدر ما يتحمله من الضياء، أو يستطيع أن يقوم به من الأعباء التي يُكلفه بها الحق ﷻ نحو الخلق، وما منا إلا له قدَرٌ معلوم.

أهل العطاء لا يأتيهم العطاء إلا بعد الفتح، إن شئت سَمّيه الفتح القلبي، وإن شئت سمِّيه الفتح العرفاني، وإن شئت سمِّيه الوصال والاتصال، وإن شئت سمّيه الدنو والقرب بلا كيفية ولا هيئة من الواحد الأحد ... كلها مسميات تدل على هذه الفتوحات الإلهية.

كثير من الناس في كل زمان يوقفون الفتح على أهل الفتح على ما يشهدونه على أيديهم من كرامات ..!! أو كما أسميها أنا إكرامات! لأنها إكرام من الله ﷻ لهم ..!!

مع أن أئمة أهل التحقيق لا يرون للكرامة أى أثر على التدقيق في مقام العبد وقربه من الله ﷻ، كانوا يقولون في ذلك: (الاستقامة خير من ألف كرامة) ويقول الشيخ محمد الطيب الحساني: (لحظاتنا كلها كرامات).

لحظات العارف كلها كرامات، ولا يستطيع أحد أن يعد، لأنها كلها إمدادات من الله ﷻ، وأى مدد من الله فهو إنعام وإكرام لهذا العبد لصلته بمولاه ﷻ.

---

[44] المعادي – الخميس ٢ من صفر ١٤٣٥هـ ٢٠١٣/١٢/٥م

والشيخ أبو الشرقاوي ﷺ[45] كان في حوار له مع إحدى المستشرقات، فسألته عن الكرامة، فقال ﷺ: (تسع وتسعون في المائة من الكرامات المكتوبة والشفهية من خيال المريدين) إذا أحب المريدون شيخاً فينسجون حوله خيالات حتى يوهموا الخلق أن هذا مدَّارك بالكون، وهذا يغيث من في البحار، وغير ذلك، والله غني عن ذلك كله، والصالحون أغني عن الخلق جميعاً في هذه الشئون، وهم يريدون الله ولا يبغون أحد سواه.

فليست الكرامة هي الميزان، لأنها قد تكون استدراج:

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٢الأعراف)

وقد تكون الكرامة ندامة لمن يطلبها، ويريد أن يتحدث الخلق بها، ولذلك قالو: (الناس يطلبون الكرامة والولي يطلب السلامة).

---

٤٥ من أكابر أقطاب نجع حمادي بمحافظ قنا

الكرامة الحقة

لا يوجد كرامة أفضل من توفيق الله للعبد على طاعته، وإلانة الأعضاء لخدمته، وحفظه من آفات العصر وشروره بحفظه وصيانته، هل يوجد كرامة أفضل من أن يجمع الله العبد على أحبته؟! ويحفظه من شرار بريته؟! هل هناك كرامة أكرم من أن يخص الله عبده بالخشوع؟! ويملأ الله ﷻ قلبه بخشيته، حتى يصير لا يرغب ولا يرهب إلا من جناب الله:

﴿ وَتَخْشَوْنَهُۥ وَلَا تَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ (٣٩الأحزاب)

هل هناك كرامة أكرم للعبد في دنياه من أن يُبشر ظاهراً أو باطناً بحسن الخاتمة؟! وهذا المطلب كان يطلبه أنبياء الله ورسل الله:

﴿ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (١٠١ يوسف).

وأعظم الكرامات لمن أراد أن يتبين الصدق في الصالحين، والفتح عند العارفين كرامة العلم، فهي وحدها التي دعا الله الحبيب ليستزيد منها: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ (طه) وإن كان العلم هنا من العليم وليس من الكُتب، فإنه يطلب المزيد من الله:

﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة)

والكرامات للأولياء والمعجزات للأنبياء، لأن المعجزة يصحبها التحدي لمن يُكذب، أما الكرامة فليس فيها تحدي، ولكنها تأييد لهذا الرجل على أنه مؤيد بالله ﷻ في موقفه هذا، والكرامة في الحقيقة امتداد لمعجزة النبي الذي يتبعه هذا الولي، فكل كرامات الأولياء بعد سيد الرسل والأنبياء إنما هي معجزات لحضرته، لأنها لم تظهر على أيديهم إلا بسبب رسالته وشريعته صلوات ربي وتسليماته عليه.

عطاءات الصالحين

إذاً عطاءات الصالحين لمن يريد ذلك من السالكين والمحبين العطاءات المعنوية، وأولها العلم الإلهي، والحكمة الربانية، والأسرار القرآنية، وأسرار أحاديث خير البرية، ثم بعد ذلك التوفيق من الله ورعاية الله، وحفظ الله وصيانة الله، ومداومة نظرات الوداد والحنان والفضل والقرب من الله.

وكانوا يقولون في ذلك:

(من سبقت له العناية لم تضره الجناية)

أو كما يقولوها في الحِكم:

(ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب) كيف؟

هذه المواهب الإلهية أين تنزل؟ لا تنزل إلا على قلب سليم، والقلب السليم لا يكون إلا في بدن على شرع الله مستقيم، فمن يقول لك: قلبي نظيف وسليم وهو غير مستقيم، قل له: كذبت، والذي أمدَّك بهذا هو الشيطان الرجيم، قال ﷺ:

{ لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ }[٤٦]

لا بد من استقامة القلوب، لأن محل التنزلات الإلهية والعطاءات الربانية هو القلب السليم:

﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩ الشعراء)

ويقول الله ﷻ في إبراهيم الخليل:

﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٤ الصافات).

---

٤٦ مسند الإمام أحمد عن أنس ﷺ

كل العطاءات انظر إليها في الآيات البينات من كتاب الله، ومن جملة هذه العطاءات التي يطلبها المُرادين السكينة:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٤الفتح).

من جملة الأحوال التي يشتاق إليها كُمَّل الموحدين الطمأنينة على حسن الختام، وعلى السعادة يوم الزحام، وعلى صحبة النبي في جنة الإكرام، أين تأتي هذه الطمأنينة؟ في القلب:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ (٢٨ الرعد).

موانع العطاء

كل فتوحات الله وعطاءات الله تتنزل على القلوب!!

لذلك لا بد للقلوب من وقفة حتى نؤهلها لعطاء الحبيب المحبوب! ﷻ ..:

فأمنع عنها أولاً موانع العطاء:

وأول مانع من موانع العطاء اللسان، والثاني العين والجوارح، والثالث القلب.

لا بد أن أمنع عيني من آفات النظر، حتى يُجلي الله ﷻ عين القلب ويحد لها البصر، ويأذن للحبيب ويقول له:

﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ (الصافات)

عين مشغولة بالعيوب هل يؤذن لها بمشاهدة الغيوب؟! لا، هل يُكشف لها عن الغيب المحجوب؟! لا.

إذاً لا بد أن أشغل هذه العين بما أمر الله بالنظر في خلق الله، وفي ملك الله، والتفكر والتدبر:

﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١٠١يونس)

تكون نظرة بعبرة، أو نظرة مع فكرة، ولذا عبادة الكُمَّل من الأولياء كعبادة الأنبياء، وكانت عبادة الأنبياء التفكر.

عبادة التفكر

ما عبادة الحبيب ﷺ لتأهيل قلبه لنزول كتاب الله؟ كان يذهب إلى غار حراء يتفكر، فكان ﷺ يخلو بنفسه في غار حراء ويتفكر، لا يتفكر في الدنيا، ولا في الملاهي، ولا في المال، ولا في العيال، ولا فيما يشغل البال، ولكن يتفكر في خلق الله:

{ تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَتَهْلِكُوا } [٤٧]

أولي الألباب في أى زمان ومكان عبادتهم التفكر:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ (١٩١آل عمران).

وسيدنا رسول الله ﷺ كانت الروضة البدائية لطلاب الحضرة القدسية في حضرته، كان يأخذها سياحة في التفكر في آلاء الله.

وكان يقول في ذلك سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه:

{ لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يَتَقَلَّبُ فِي السَّمَاءِ طَائِرٌ إِلَّا ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْمًا } [٤٨]

سبورة أو لوحة الوجود يسطع عليها صنعة الحق ﷻ، وهو ﷺ الشارح لهذه الأسرار .... والكاشف لخصائص هذه الكائنات...، ليزيد الذين اهتدوا هدى، ويُثبت الذين اهتدوا على هذا الهدى.

إذاً العين بدلاً من أن تكون رسولاً للنفس وتأتيها بالصور الشهوانية والمشاهد الحيوانية ....: تتحول إلى رسول للقلب تأتي له بالحكم العلية من التفكر في الكائنات العلوية والسفلية، وهذه يقول فيها خير البرية ﷺ:

---

٤٧ العظمة للأصبهاني عن أبي ذر رضي الله عنه، ورواه الطبراني عن عبد الله بن عمر بنص: "تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ، وَلا تَتَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ"
٤٨ مسند الإمام أحمد

{ لا عِبَادَةَ كَالتَّفَكُّرِ }[٤]

ويقول فيها ﷺ ليبين قدرها:

{ تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌمِن عِبَادَةِ سَنَةٍ }[٥]

والساعة في قول الحبيب وفي كتاب الله تعني لحظة، ولذلك عندما ظهر الخوارج في عصر الخلفاء الراشدين، واشتهروا بكثرة التلاوة، وكثرة السجود، وكثرة الصيام وكل العبادات، وذهبوا إلى زوجة سيدنا أبي الدرداء ﷺ، وطلبوا منها أن تحكي لهم عن عبادته، قالت: عبادة أبي الدرداء ليست كعبادتكم إنه يجلس يتفكر، فلم يعجبهم هذا الحال وظنوا أنهم الأفضل والأَخْير، لأن العبادة دائماً تغر، فلما جاء ﷺ وحدثته، قال: عجبت للحمقى كيف يعيبون على الأكياس – العقلاء - نومهم وفطرهم؟! ولذرة من تقوى أفضل من أمثال الجبال عبادة من المغترين.

ذرة من تقوى من عمل القلوب أفضل من هذه الجبال، وكشف الشيخ ابن عطاء الله السكندري ﷺ حقيقة هذا الأمر، فقال فيما معناه: (ما انتفع القلب في قربه إلى الله بمثل فكرة تؤدي به إلى عبرة ثم إلى القرب من الله ﷻ)

٤ الطبراني والبيهقي عن علي بن أبي طالب ﷺ
٥ ذَكَرَهُ الْفَاكِهَانِيُّ بِلَفْظِ : " فِكْرُ سَاعَةٍ" وذكره ابن عجيبة في أيقاظ الهمم.

ما عبادة سيدنا إبراهيم الأولى؟

التفكر في النجوم والشمس والقمر، وكذلك كل الأنبياء كانوا على هذه الشاكلة، فالتفكر عبادة الأنبياء، وكذلك عبادة كُمَّل الأولياء والصالحين، تراهم تظن أنهم ساهين أو غافلين لأنهم صامتين، لكن القلب يجول في سياحة التفكر في ملك الله وملكوته:

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ۝٧٥ ﴾

(الأنعام)

إذاً أهل اليقين يصلوا إلى هذه المرتبة، قال ﷺ:

{ لَنْ تَخْلُوَ الأَرْضُ مِنْ أَرْبَعِينَ رَجُلا مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، فَبِهِمْ يُسْقَوْنَ، وَبِهِمْ يُنْصَرُونَ، مَا مَاتَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلا أَبْدَلَ اللَّهُ مَكَانَهُ آخَرَ }[٥]

٥١ معجم الطبراني عن أنس ﷺ

طيب الكلام

اللسان وما أدراك ما اللسان؟ كيف ينطق المرء بالحكمة الإلهية ولسانه لا يكف عن الخوض فيما حوله من البرية؟! فاللسان يسب يهذا، ويغتاب هذا، وينم على هذا .... فمن أين تأتي الحكمة؟!! لكن كيف تأتي الحكمة؟ نسأل الخبير ﷺ، قال ﷺ:

{ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ الْمُؤْمِنَ قَدْ أُعْطِيَ زُهْدًا فِي الدُّنْيَا وَقِلَّةَ مَنْطِقٍ فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ تَلَقَّى الْحِكْمَةَ }[٥٢]

الحكمة تأتي عند الصمت، فيُلقنه رب العزة:

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾

(٢٦٩البقرة)

وهو ﷻ شاءت إرادته، واقتضت قدرته ألا يُعطي إلا بسبب لأنه مسبب الأسباب، وحتى يزول من بيننا العجب:

﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ (٤٦ فصلت).

لكن كيف يُجَمَّل بالحكمة من لسانه دائماً وأبداً يخوض؟!

﴿ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴾ (٤٥ المدثر)

---

٥٢ سنن ابن ماجة والطبراني عن أبي خلاد ﷺ

هذا ليس حتى من أهل النعيم!! بل من أول الفرق التي تذهب للجحيم والعياذ بالله ﷻ.

لكن المؤمن في بدايته: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (٨٣البقرة) الذوق الرفيع، والأدب البديع في

الكلام مع جميع الأنام، بينك وبين عداوة رجل كلمة تتقولها عليه فيعاديك، وبينك وبين محبة رجل كلمة تُثني عليه بها فيبيع كل شيء ليشتري صحبتك ومودتك.

هي كلمة، لكن الكلمة إذا أمسكتها قبل أن تخرج من فيك ملكتها، وإذا سمحت لها أن تخرج من فيك ملكتك، لماذا يرجع الإنسان إلى أن يستدير بوجهه إذا قابل فلان؟ أو يمشي من طريق آخر إذا رأى فلان؟ أو يخشى أن يُعقد له مجلس لإساءته لفلان؟ ما الذي جعله يقع في مثل هذا وقد جعل الله له ميزان؟! وهو العقل، ووضع له قائد، قال ﷺ فينا ولنا:

{ رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا تَكَلَّمَ فَغَنِمَ، أَوْ سَكَتَ فَسَلِمَ }[٥]

هذا حال المؤمن وليس المحسن أو الموقن!!

أهل البدايات إن أرادوا العنايات لا بد أن يُحكموا البدايات!

وأول البدايات إحكام الكلمات!

إياك أن تُخرج كلمة قبل أن تزنها بعقلك، وتُقلِّبها على جميع الوجوه بفكرك!

ولا تجعل أحداً يستعجلك على الرد، بل اعط لنفسك الفرصة لتفكر في الأمر وتراود نفسك وتستخير الله، حتى يكون معك تأييد الله ﷻ.

---

٥٣ شعب الإيمان للبيهقي ومسند الشهاب

والرجل الذي يستفزه الغضب فيُخرج كلمات كطلقات الرصاص يندم عليها فوراً بعد انتهاء نوبة الغضب ليس برجل في طريق الله ﷻ، سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما كان يكتب الحديث خلف رسول الله ﷺ، فقال له بعض القوم: كيف تكتب عنه ﷺ وهو بشر يغضب ويرضى؟ فذهب إلى رسول الله ﷺ، وانظر إلى حكمته، كما أخبر عنهم جميعاً النبي ﷺ وقال:

{ فُقَهَاءُ عُلَمَاءُ، كَادُوا مِنَ الْفِقْهِ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ } [54]

نحن في القرن الحادي والعشرون!!

وما أكثر الشهادات الجامعية ..!!

لكن التأهيلات الاجتماعية نحتاج فيها إلى الرجوع إلى الحضرة المحمدية وأصحابه المباركين، فلا يوجد أحد حتى ولو كان معه سبعة دكتوراه يصل إلى حكمة هؤلاء!.

لم يقل سيدنا عبد الله لرسول الله: فلان قال كذا، وفلان قال كذا، بل قال:

{ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتَأْذَنُ لِي فَأَكْتُبُ مَا أَسْمَعُ مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: فِي الرِّضَاءِ وَالْغَضَبِ ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَإِنَّهُ لا يَنْبَغِي أَنْ أَقُولَ عِنْدَ الرِّضَاءِ وَالْغَضَبِ إِلا حَقًّا } [55]

هذه درجة، إذا وصلت إلى الدرجة التي لا تقول فيها في الرضا عن شخص أو الغضب عليه إلا الحق فأنت تستحق عطاء هذه الدرجة، لكن لو أن في نفسك شيء من شخص فتحاول أن تشوه صورته، أو تحاول أن تنفر المحيطين به، وهذا عمل إبليس، وبه وقعت في التدليس، وينقطع عنك حبل الفتوحات، ولا ترى شيئاً من خيرات الله ﷻ وعطاءاته التي يفيضها على الصالحين والمتقين.

---

٥٤ حلية الأولياءلأبي نعيم
٥٥ الحاكم في المستدرك وسنن أبي داود

لكن أهل هذه الدرجة وصلوا إلى قول الحق ولو كان مراً، ولو كان على نفسه، عندما ذهب رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله أريد أمراً جامعاً، قال:

{ أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ }[٥]

أمسك لسانك فلا تجعله ينفر هذا، ويسب هذا، ويلعن هذا ...!! حتى تنطلق للدرجة الأعلى:

﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ (٢٤ الحج)

وبعدها تأخذ الدرجة الأعلى:

﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢٦٩البقرة).

درجات للعارفين، هل هناك عارف فتَّان؟! هل هناك صالح لعَّان؟! هل ستأتيه الدرجة ولم يتب من اللعن ومن السب والشتم والغيبة والنميمة وما شابه ذلك؟! لن يكون ذلك، لأن هذه قوانين رب البرية ﷻ:

﴿ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ (٤٩الكهف)

حتى يراك مؤهلاً أم غير مؤهل.

---

٥٦ سنن الترمذي ومسند الإمام أحمد عن عقبة بن عامر رضي الله عنه

القلب السليم

بعد سلامة العين وسلامة اللسان لا بد من سلامة القلب من كل أمراضه، وأمَرُّها وأَشَرُّها الكِبر، والحقد، والحسد، والكره، والبغض ... وما شابه ذلك.

لأن الله ﷻ بيَّن في القرآن أن النصر جاء للنبي العدنان وأصحابه المباركين عندما أحسوا بالتواضع والذلة لله رب العالمين:

﴿ وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞ ﴾ (١٢٣آل عمران)

وتخلف عنهم النصر للحظات يوم حنين، ولولا وجود حضرة الحبيب في وسطهم لقالوا هيهات هيهات، لماذا؟ لأنهم اغتروا، ومرضوا بمرض العجب، وقالوا: لن نُصاب اليوم من قلة:

﴿ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ ﴾ (٢٥ التوبة)

مع أن عددهم كان كبير، وكانوا مدججين بالسلاح، لكن أصابهم مرض العُجب.

هذه الأمراض القلبية لا بد من معالجتها بالكلية، ثم بعد ذلك يخلو القلب من كل الأغيار، لتتنزل فيه الأنوار من الواحد القهار ﷻ، فإن الله ﷻ قال لنا وهو أصدق القائلين: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦ ﴾ (٤الأحزاب)

والله ﷻ لا يريد إلا قلب واحد ليس فيه إلا الواحد ﷻ، وإذا دخل فيه غير الله فلن يكون فتح:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ }[٥]

فلا بد أن يُطَهِّر القلب من كل ما سوى الله ﷻ حتى لا يبقي فيه غير الله:

فرغ القلب من سوانا ترانا	يا مريداً جمالنا وبهانا

٥٧ صحيح مسلم وسنن ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

أوراد المقربين

إذا جهز الإنسان نفسه هذا التجهيز، فمنع موانع العطاء الإلهي، وجاهد نفسه في القضاء على شهوات النفس والجسد والقلب، وجعل نفسه خلف رسول الله ﷺ يتبع هداه، عليه أن يستعين بأوراد كما عرَّفنا الصالحون، لكن الناس أخطات في قضية الأوراد خطأ فادح، فقصروا الأوراد على العبادات كالصلوات وما يتبعها من نوافل، والصيام، والصدقات، وتلاوة القرآن، والأذكار ... هذه الأوراد هي التي ينشغل بها الكل، وإذا ذُكِرَت الأوراد فليس لها معنى في ذهننا إلا هذه المعاني، وهذا خطأ.

هذه الأوراد للعُبَّاد والزُهَّاد، وهؤلاء لا يطلبون الله، وإنما يطلبون من الله، فالزُهَّاد يطلبون من الله أن ينجيهم من النار ومن الموقف العظيم، والعُبَّاد يطلبون من الله الجنة، لكن من يطلب الله شيء آخر، ولهم أوراد أخرى غير هذه الأوراد.

إذاً الأوراد التعبدية لمن يطلبون من الله، إن كان شيء دنيوي كسعة الأرزاق، أو نجاح الأولاد، أو الشفاء ... مقاصد دنيوية، أو مقاصد أخروية.

لكن الذين يطلبون الله لهم أوراد أخرى، والورد الأول للمبتدئين تطهير القلب بالكلية مما سوى رب البرية، يجاهد نفسه ألا يخطر بباله أحد حتى يصل إلى حال لا يخطر على باله في كل نَفَس إلا الله، الشيخ عمر بن الفارض ؓ يقول في هذا الميدان:

إن خطرت لي في سواك إرادة	على خاطري نَفَساً قضيت بردتي

لا يغيب عن الله طرفة عين، وأين ذلك في الكتاب الله مع العمل والعناء؟ ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَـٰرَةٌ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ (٣٧النور)

حتى في التجارة والبيع لا يغفلون عن الله، لأنه إذا طهر القلب من المقاصد الدنية ومن الأشياء الدنيوية، ومن أطماعه الأخروية كشهوة المشيخة والرياسة والظهور ... تبدأ تجليات الحق ﷻ تُفاض على صاحب هذا الفؤاد.

تأتيه الرؤيا الصادقة في البداية، ويجب ألا يقف عندها، ثم بعد ذلك يفتح الله في قلبه عين للإلهام يقول فيها الله:

﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرٗا ﴾ (٦ الإنسان)

لم يقل الله (يشرب منها) ولكن (يشرب بها) هذه العين يتم تفجيرها بديناميت المحبة لسيد الأحبة ﷺ، حب وعشق ووجد وهيام وغرام في الحبيب المصطفى ﷺ يجعله على باله على مدى الأيام، كان أحدهم يقول: (بقى لي أربعين عاماً لو غاب عني رسول الله طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين).

إذا فُتحت عين الإلهام سيتلقَّى الإنسان في اليقظة والمنام أفعاله وأحواله وأقواله من الله ﷻ، وهذا خير إمداد لمن أراد أن يتحلى ويتجمل بخير زاد من رب العباد ﷻ:

﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰ ﴾ (١٩٧البقرة).

هذا ورد العارفين، أو السالكين في طريق الله ﷻ، لكن كيف يكون ورد المنتهين والأفراد؟ الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه عندما كان يُربي ابنه سيدي أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه قال: (عليك بورد واحد وهو إسقاط الهوى ومحبة المولى) لا يصير له هوى إلا في هوى رسول الله ﷺ:

{ لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ }[٥]

٥٨ معجم السفر للسلفي والمدخل إلى السنن للبيهقي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه

حتى إذا وصل إلى مقام المناجاة يناجيه مولاه، ويسأله ماذا تريد؟ فيقول: أريد ألا أريد! والله ﷻ أعلم بما ينفع العبيد، لأني لو طلبت شيء أظن أنه ينفعني، لكن ربما هو في الحقيقة سيضرني، فأفضل ما في هذا الباب تفويض الأمر:

﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ (٤٤ غافر)

أنا لا أريد إلا قربه ورضاه:

أنا لا أخاف وحقه من ناره	كلا ولا أبغي الجنان لطيبها
فالقرب منه جنتي ومحاسني	والبعد عنه ناره ولهيبها

لا أريد سواه، وقربه ورضاه هو الأمل الذي يقول فيه العارف:

فنظرة منك يا سؤلي ويا أملي أغلى عليَّ من الدنيا وما فيها

لم يعد له هوى في هذا، ولا يخص هذا عن ذاك، ولا يُفضل هذا عن ذاك ... الذي يُفضل المتفضل ﷻ بحسب تقوى القلوب، والقرب من حضرة علام الغيوب ﷻ، ليس لنا شأن بالمظاهر، وإنما بنور الحق الذي في القلب للعين ظاهر.

هذه أوراد الصالحين والمرادين، ومع ذلك فهؤلاء القوم لا يتركون شيئاً وصلوا به إلى الله ليتأسى بهم من خلفهم من أهل البدايات في طريق الله جل في علاه، وهذا هو الكمال.

رُؤي الشيخ الجنيد ﷺ في سكرات الموت، وكان يختم ورده من القرآن، فقالوا له: حتى في هذه الساعة؟! قال: ومن أولى بذلك مني، وها أنا ذا تُطوى صحيفتي ويكون آخر ما يُكتب فيها كتاب ربي ﷻ.

ورُؤي قبل ذلك وفي يده مسبحة، فقيل ما هذا؟ فقال: شيء وصلنا به إلى الله في البداية لا نتركه في النهاية.

وأنا أقول ذلك لأُذَكِّر نفسي وأُذَكِّر الأحباب، لأن كثير منهم ظن أن الأوراد لأهل البدايات، وكان مشغولاً بها في بدايته ثم تركها، وربما نسيها، وربما وسوست له نفسه أنه أصبح غير محتاجاً إليها!! لقد قالوا: (من لا ورد له لا ورود له) لا بد من الورد، لأنه لا يرد لك من الله بدون أن يرد منك إلى الله ﷻ طاعات وقربات ترفعها إلى حضرة الله مع قوله ﷻ:

{ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ }[٥٩]

ولا يجب أن يتكاسل بعد أن يحبه الله، سيدنا رسول الله ﷺ كان يقوم الليل، فقيل له: ألم يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟قال:

{ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا }[٦٠]

لا بد من ذلك، مع أنهم وصلوا إلى حال فيه كل أوقاتهم مع الله، كان الشيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ إذ أراد أن ينام يقول لمن بجواره: (لا توقظوني من وِردي) له في نومه وِرد مع الله، لأنه وصل للوراثة المحمدية: { تَنَامُ عَيْنِي، وَلَا يَنَامُ قَلْبِي }[٦١]

حتى من وصل إلى أعلى المراتب واستيقظ القلب - والقلب إذا استيقظ لا يغفل بعد ذلك أبداً، وانشغل بالكلية بذكر الله - إلا أنه ينبغي عليه أن يفعل الأعمال الظاهرية التي كلَّفنا بها الله، والتي وضحها لنا وبيَّنها بياناً عملياً رسول الله حتى يكون أسوة لمن خلفه، وقدوة لمن تبعه !!! هل يصح أن أوقظ إبني أو إبنتي لصلاة الفجر حاضراً ثم لا أصلي أنا بحجة أني متعب؟! لا يصح، لا بد أن أكون معهم لأني أنا الإمام، هل يصح أن آمرهم بصيام يوم عاشوراء مثلاً وأنا لا أصومه؟! لا يصح، لا بد أن أكون قدوة، وأبدأ بنفسي وأحافظ على ذلك.

---

٥٩ صحيح البخاري وسنن البيهقي عن أبي هريرة ﷺ

٦٠ الصحيحين البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة ﷺ

٦١ مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان عن أبي هريرة ﷺ

تقرأ صلوات على رسول الله ﷺ مع حفنة من الأحباب، في موعد أسبوعي ثابت، هل يصح أن تجلس بجوارهم وتقرأ في صحيفة أو مجلة؟! لا يصح ذلك، لأنهم لن يقتدوا بك على هذا الحال، أو أنك تتخلف عن الحضور معهم بحجة أنك مشغول، لو أن لك مصلحة دنيوية لن تنشغل عنها، هذا يوم أو يومان في الأسبوع لله، اجعلهم دائمين حتى يديم الله ﷻ عليك العطاء، ويجعلك أهلاً دائماً للفتح الإلهي والنور الرباني.

الوصول

أما الوصول حتى تعرفوه بما بيَّنه الفحول فاعلم يا أخي أنه ليس بينك وبين الله مسافات، ولا جهات، ولا بين، ولا عوائق، العائق الذي بينك وبين ربك أوصاف نفسك، أو حجبك النفسية، وعوائقك القلبية، إذا جاهدت نفسك حتى أزلت الحجب النفسية بالحجب الظلمانية فستصبح قريباً في الحكم والمعنى بالمودة لرب البرية ﷻ.

إذا جاهدت نفسك لتطهير قلبك وسرك بالكلية فزت بالخصوصية، وصرت تتلقى من الله ﷻ ما لا يستطيع أحد وصفه، ولا ذكره، لأن هذه عطاءات يقول فيها الإمام الغزالي رضي الله عنه:

فكان ما كان مما لست أذكره	فظُنَّ خيراً ولا تسأل عن الخبر

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

السفر إلى الله[٦٢]

كذلك نحن نسمع كلمة السفر إلى الله، أو الطريق إلى الله – كما تحدثنا أعلاه عن الوصول-الوصول إلى الله، مع أن كلمة (إلى) إشارة إلى مكان، والله ﷻ لا يحيزه مكان، ولا يُظهره زمان، تعالى عن المكان والزمان، لأنه خلق الزمان والمكان، وكان ولا شيء معه، وهو الآن على ما هو عليه كان.

الله ﷻ كما وضح ذاته في قرآنه ﷻ:

﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ﴾ (١٦ ق)

﴿ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴾ (٨٥ الواقعة)

فالله ﷻ أقرب لك من نفسك التي بين جنبيك، وأقرب إلى كل شيء من نفس الشيء.

غاية ما في الأمر ليس بينك وبين الله حجاب، ولا مسافات، ولا جهات، بينك وبين الله ﷻ ظلمات، إذا انقشعت هذه الظلمات تمتعت بوجه الله ﷻ في جميع الحيطات:

﴿ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ ﴾ (١١٥البقرة).

إذاً ما معنى السفر؟

أسافر من نفسي ..

لا أسافر من محطة خارجية ..!!

٦٢ المعادي – الخميس ٢ من صفر ١٤٣٥هـ ٢٠١٣/١٢/٥م

ولا أماكن في دار الدنيا الدنية ..!!

ولكن أسافر من نفسي!، ما معنى ذلك؟

أسافر من شهوات نفسي، وحظوظ نفسي، وأهواء نفسي:

طلباً لمرضاة ربي ﷻ.

النفس لها شهواتها، وقال الإمام أبو العزائم ﷺ في وصفها:

والنفس شهوة مطعم أو مشرب	أو منكح فاحذر بها الداء

النفس تطلب طعام معين، أو مشروب معين، أو لبس معين، أو نكاح معين ... هذه طلبات النفس!

هل أمنعها هذه الشهوات؟

لا!

لكن جهادي في هذه الشهوات:

- أن تكون من حلال.
- وأن أشكر الله ﷻ عليها.
- وأن لا تشغلني عن الله ﷻ.

وقيل فى الحكمة العالية:

- تزوج أجمل النساء!

-

- والبس أفخر الثياب!
- وكل أشهى الطعام!
- واشرب فاخر الشراب!
- على أن يكون ذلك من حلال.
- وليس فيه إسراف لأن الله لا يحب المسرفين.
- وبعد كل هذه النعم أُشكر الله:

﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ (١٧٢ البقرة).

والشكر ليس كلمة (الحمد لله) ولكن الشكر كلمة باللسان، وتصديق بالقلب والجنان، وعمل بالجوارح والأركان:

﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرًا ﴾ (١٣سبأ) فالشكر عمل.

المهم أن هذه الأشياء لا تشغل الإنسان عن الله، وتجعله يتوه في البحث من أجل تحصيل هذه المتع الزائفة، وينسى أثناء ذلك طاعة الله، وعبادة الله، وذكر الله جل في علاه.

إذاً دائماً وأبداً أول شيء في البال هو الله ﷻ، كلما يسافر قلب الإنسان إلى الله تأتي الشهوات فتقيده وتحدده وتجذبه وتمنعه من السفر إلى الله ﷻ، وقد قال بعض الصالحين: (إياك أن تظن أنك ستسافر إلى الله ﷻ وهناك شهوة واحدة من شهوات النفس والدنيا تجذبك إليها) لا بد من قطع كل هذه الحجب، هذا السفر قال فيه أبو العزائم ﷛:

مني أسافر لا من كوني الداني	أفردت ربي لا حور وولدان
وجهت وجهي لله العظيم، ولي	شوق شديد إلى فضل ورضوان

ماذا يفعل العبد الذي يسافر إلى الله بعدما يقطع هذه العلائق؟

أهم شيء في طريق الله الوصول إلى فضل الله، والوصول إلى عطاء الله، والوصول إلى إكرام الله لأحباب الله وأصفياء الله، أصل إلى هذه الكنوز، ويفتح الله ﷻ لي هذه الرموز، ويجعلني أتمرغ في هذه العطاءات العالية، وهذه النعم الراقية، وأنا في هذه الدار الدنيوية الفانية، وهذا العجب العجاب.

ياقوت العرشى

سيدي أبو العباس المرسي رضى الله عنه زأرضاه ... كان من مريديه سيدي ياقوت العرشى.

وهذا المريد جاءه كعبد يُباع من بلاد الحبشة.

واليوم الذي وُلد فيه طلب سيدي أبو العباس في الإسكندرية أن يصنعوا ثريداً ولحماً، قالوا: ولِمَ؟ قال: اليوم ولد ياقوت العرشي في بلاد الحبشة!!

هذه أسرار الرجال!!!

لأن سيدي أبو العباس أراد أن يستأذن على شيخه سيدي أبو الحسن الشاذلي، فأغلظ عليه الخادم في الكلام، فقال سيدي أبو الحسن الشاذلي للخادم:

لِمَ تُغلظ لأبي العباس؟! والله إنه لأعلم بطرق السماء منك بطرق الإسكندرية!!، وما من ولي ظهر أو سيظهر إلا وأبو العباس يعلمه!!

رأى السجل من أوله إلى آخره، وهذا ليس على الله ببعيد، هل هناك حرج على فضل الله؟ لا.

بعدما كبر سيدي ياقوت وأصبح عنده اثنتا عشر سنة، اختطفته عصابة لتبيعه كعبد، وذهب تاجر من الإسكندرية من أصحاب الشيخ أبو العباس إلى هناك وجاء بصفقة عبيد، وكان منهم ياقوت!

وركبوا المركب، وفي وسط البحر الأحمر هاجت الأمواج، وأصبحت المركب على وشك الغرق، فقال التاجر:

يا رب ببركة أبو العباس المرسي نجنا، ولو أنجيتنا فإن هذا العبد هدية لسيدي أبو العباس!

وكان هذا العبد هو ياقوت.

وهدأت الريح ونجاهم الله، واقتربت السفينة من الإسكندرية، وأصاب ياقوت حبوب (مرض) في شعره، فقال التاجرلنفسه: هل يصح أن أعطي للشيخ عبداً معيوباً مثل هذا؟ لا ..! فاختار واحداً آخر أشد وأجلد.

وفي يوم وصول المركب إذا بالشيخ يقول لبعض محبيه هيا بنا نتريض على ساحل البحر، وهم على ساحل البحر أتت المركب، فنزل التاجر وسلم عليه وشكره وأعطاه العبد الذي اختاره، فقال له: نحن نريد من اخترته لنا أولاً، فقال: إنه مريض، قال: لا شأن لك بذلك.

ورباه سيدي أبو العباس باطنياً إلى أن وصل إلى أن قلبه كان يطوف حول العرش، ولذلك سموه ياقوت العرشي.

سيدي أبو العباس المرسي رضي الله عنه دخل عليه ملك مصر في زمانه ولم يقف له، وسلم عليه جالساً، وهذه كانت عزة العارفين والصالحين رضى الله تبارك تعالى عنهم وأرضاهم ...

ودخل عليه ياقوت فقام له وسلم عليه واقفاً، فأخذت الملك الغيرة، فأراد الشيخ أن يُعرفه سبب فعله هذا، فقال: يا ياقوت أنا اليوم متضايق وصدري ضيق وأجد حرجاً في نفسي، فبكى ياقوت، وكانت السماء صحو، وإذا بالسماء تتلبد بالغيوم وتكفهر ويهيج الريح وينزل المطر، قال: يا ياقوت الحمد لله شرح الله صدري الآن وزال همي وفرَّج الله شدتي، فضحك ياقوت، وإذا بالسحاب ينجاب، وتصير السماء صحواً .. ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ (٣٤الزمر)

فقال الشيخ موجهاً كلامه للملك: إن هذا من الملوك السماوية، فخطر ببال الملك أن هذا كان عبد، فتلا عليه قول الله: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ﴾ (٥٩الزخرف).

فإنعام الله ﷻ على العبيد هو الذي يهيئ لهم ما نراه على هؤلاء العبيد من الإكرامات الإلهية، ومن الفيوضات الربانية، وغيرها من الخصائص النورانية، هذا لمن صار بالكلية عبداً لله.

إذاً لا بد للإنسان أن يُحقق العبودية لله حتى يخلع الله ﷻ عليه خُلع الإكرام الإلهية، وهو لا ينظر إليها، ولا يتلفت إليها، ولا يفرح بالحديث عنها، وإنما فرحه دوماً بالله، لا يبغي من الله إلا الله، وهذا هو المقام الأعظم الذي أقام الله فيه الأفراد وكُمَّل المرادين في كل زمان ومكان، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم أجمعين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفصل الخامس:أهل غنائم الفتح الإلهي

بين المجاهدين في سبيل الله

والمجاهدين في ذات الله

غنائم الله

أوصاف أهل الغنائم

الفقراء إلى الله

دوافع الحب لرسول الله ﷺ

الثناء والدعاء للسابقين

سعة الصدر للمعاصرين

الفضيل بن عياض

الفصل الخامس

أهل غنائم الفتح الإلهي[63]

الغنائم هي الأرزاق التي أحلها الله ﷻ للمجاهدين في سبيله.

الذين يجاهدون في سبيل الله أحلَّ الله ﷻ لهم إذا فتحوا بلداً أن الخيرات التي في هذه البلد تكون غنيمة لهم ..

وحتى لا يختلفوا في توزيعها:

فقد وزعها الله ﷻ بذاته!

قال سبحانه فى (٤١الأنفال):

﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ وَٱلۡمَسَـٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾

إذاً الغنائم الحسية من مال، ومن خيرات للمجاهدين.

وأيضاً أشار الصالحون في كل زمان ومكان لذلك ..: كما أن هناك غنائم حسية ظاهرية للمجاهدين في سبيل الله:

فهناك غنائم من الفتح الإلهي .... والفضل الرباني .... والعطاء الصمداني للمجاهدين في الله .... أو في ذات الله لله ﷻ.

---

٦٣ المعادي – الخميس ١ من ربيع الأول ١٤٣٥هـ ٢٠١٤/١/٢م

بين المجاهدين في سبيل الله والمجاهدين في ذات الله

إذاً غنائم المجاهدين في سبيل الله حسية دنيوية، وغنائم المجاهدين في الله وفي ذات الله ﷻ عطاءات معنوية أو روحية أو ربانية، تأخذها القلوب، وتشعر بوقعها الصدور، ويكون للإنسان بها قسط وافر من عطاء الله ﷻ الذي خصَّ به أهل هذا المقام.

وجعل الله ﷻ أوصاف هؤلاء المجاهدين ثابتة في كتاب الله في سورة الحشر، فجعلهم ثلاثة أصناف، الصنف الأول:

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾

ووصفهم الله ﷻ بوصف جامع فقال:

﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ ﴾ (٨ الحشر).

والصنف الثاني:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ ﴾

فسماهم الله ﷻ:

﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (٩ الحشر)

إذاً عطاء الله للصادقين والمفلحين.

ولم ينس الله ﷻ من جاء بعدهم من أمثالنا وأشباهنا إلى يوم الدين:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٠ الحشر).

هؤلاء الثلاث فرق هم الذين يحصلون على غنائم الله ﷻ!

منهم سيدنا أبو بكر ﷺ وقد وضَّح هذا المقام عندما ارتقى ﷺ إلى الملأ الأعلى، واجتمع الأنصار في سقيفة لهم يبحثون شأن الخلافة والإمارة، فذهب إليهم سيدنا أبو بكر ومعه سيدنا عمر ومعه سيدنا أبو عبيدة بن الجراح ﷺ، ونطق – حتى تعرفوا أن هؤلاء القوم كانوا فطنين إلى معاني كتاب الله – وقال:

يا معشر الأنصار أنتم المفلحون ونحن الصادقون!

إنما– دخل على منطوق الآية، فبدأ بمدحهم بالوصف الذي وصفهم به ربهم – فتخدرت الأعضاء، وسكتت الألسن، وذهبت الحدة، ولانوا في يده ﷺ وأرضاه، حتى نعرف من أين كان هؤلاء يأخذون الناس!!.

فهؤلاء هم الصادقون، وهؤلاء هم المفلحون، وهناك نصيب عظيم جعله الله ﷻ لمن بعدهم، نسأل أن نكون منهم أجمعين، وجعل الله ﷻ هذه كتائب الحق التي تحصد غنائم الحق ﷻ الإلهية.

غنـائم الله

الغنائم التي من الله ﷻ قد تكون توفيقاً للطاعات، وقد تكون تنبيهاً من الله ﷻ في جوف الليل الآخر أن يناجيه ويحادثه بكلامه، ويتعبد إليه ﷻ بركوعه وسجوده وقيامه.

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون لمن يُحيون هذا الوقت: لقد أصابوا الغنيمة الباردة!

يقصدون الغنيمة التي ليس فيها ضرب بالسيوف، ولا طعن بالرماح، ولا قتل ولا جراح.

هو جهاد ولكن ليس فيه هذه الأسلحة التي تستخدم في ميدان الجهاد، ولكنه جهاد في ميدان النفوس، وفي ساحة القلوب لتطهيرها لحضرة علام الغيوب ﷻ.

ومنهم من يمن الله ﷻ عليه بقبس من نوره، فينظر بنور الله، ويكون من أهل الفراسة التي بشر بها حبيب الله ومصطفاه ﷺ في قوله:

{ اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ }[٦]

ومنهم من يجعل الله ﷻ له عيناً في قلبه بعد صفاءه تتلقى العلن من ربه:

﴿ عَيۡنًا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ﴾ (٦الإنسان)

فيؤتيه الله علماً بغير تعلم:

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٢٨٢البقرة).

---

٦٤ سنن الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ﷺ

ومنهم من يجعل الله ﷻ صدره وعاءاً للحكمة الإلهية، فيكون حكيماً في أقواله، حكيماً في أفعاله، حكيماً في تصرفاته، حكيماً في مشوراته:

﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٢٦٩ البقرة).

الغنائم لا تُعد ولا تُحد، وإن كان كثير من الناس لما سمعوه من الكرامات، وما قرأوه من البيانات عن العارفين والصالحين يوقفونها على دائرة الكرامات والمكاشفات، بينما الكرامات والمكاشفات قد تكون استدراج، وليست طريقاً للوصول، وإنما نزولاً بالعبد إلى غير مراده، لأنه قد ينقلب في طريقه ويتحول عن الصدق في معاملة ربه إلى طلب الخلق، أو طلب الشهرة بينهم، أو طلب الظهور فيما بينهم، أو طلب الدنيا من أيديهم، لكن إكرامات الله ﷻ وغنائمه للصالحين لا تُعد ولا تُحد.

الذي يريد هذه الغنائم عليه أن يفتح باب قلبه، ويُقبل على ربه، ويحاول أن يتخلق بها، ويتعلق بأوصاف ذويها وأهلها حتى يذيقه الله من غرائب معانيها ما هو خُصَّ له من الله ﷻ.

أوصاف أهل الغنـائم

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾(٨الحشر)

أوصاف هؤلاء القوم الذين استحقوا الغنائم: الفقر أولاً، والفقر يعني الشعور الباطني الداخلي بأنه في أمس الحاجة إلى رعاية الله وعناية الله وملاحظة الله في كل أوقاته، لو نسي هذا الوصف في لحظة، وظن أنه يستطيع أن يقضي أمراً بنفسه بدون الاستمداد لمولاه فقد خرج عن دائرة هذا الوصف.

أهل هذا الوصف دائماً وأبداً تُباشر قلوبهم حلاوة اليقين، وعلى إثر ذلك تكون تصرفاتهم وسلوكياتهم بأنهم لا يستطيعون أن يرفعوا قدماً ولا أن يُنزلوه، ولا أن ينطقوا بحرف، ولا أن يُحركوا يداً، ولا أن يفعلوا شيئاً صغيراً أو كبيراً إلا إذا أراد الله ووفق وأعان، فيطلبون دائماً وأبداً توفيق الله ومعونته في كل وقت وحين.

وإذا دخلوا في هذا الميدان بالجهاد الأكيد انتهى بهم الأمر إلى الوقوف على ساحة (لا حول ولا قوة إلا بالله) أو بساحة كمَّل الرجال أهل الفناء الذين يُكرمهم الله جل في علاه.

والله ﷻ مدح بذلك حبيبه ومصطفاه، وعلَّم أصحابه أن يكونوا معه في هذا الميدان، فقال في شأنه:

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ (١٧الأنفال)

مَن الذي أمسك بحفنة الحصى ورماها؟ سيدنا رسول الله ﷺ، لكن مَن الذي حرك اليد؟ ومَن الذي جعلها تقبض على الحصى؟ ومَن الذي أعطاها القوة لترمي الحصى؟ ومَن الذي أوصل الحصى؟ الله ﷻ، ولذلك عندما أمسك الحصى ورماه لم يترك الحصى كافراً من أهل قريش في هذه المرة في بدر إلا وأصابه! كيف يصيب كف من الحصى ألف رجل في وقت واحد؟!! هل يستطيع ذلك أحد؟! لا يستطيع ذلك إلا الواحد الأحد ﷻ إذا أمد بذلك أحد من البشر.

وعلَّم الله ﷻ ذلك أصحاب النبي ﷺ فقال:

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ﴾ (١٧الأنفال)

أنتم أمسكتم بالسيوف لكنكم لم تُقدِّروا الحتوف والموت، فالذي قدَّر الموت هو المميت ﷻ، أنت أمسكت بالسبب، لكن السبب لا يعمل إلا بإذن من مسبب الأسباب ﷻ.

فأول صفة تحتاج إلى جهاد؛ أن يتخلى الإنسان عن نفسه، وعن أوصافه، ويبقى بربه، بقوة الله، وبتوفيق الله، وحول الله، ومعونة الله ... وهذا جهاد شديد في ذات الله ﷻ.

الفقراء إلى الله

فأول صفة من الفصيل الأول، أو الكتيبة الأولى من أهل الغنائم الافتقار إلى الله ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴾ (١٥ فاطر)

معكم الغني كله من الدنيا والآخرة.

﴿ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ ﴾ (٨ الحشر)

هؤلاء القوم الصادقون السابقون أخرجهم من ديارهم وأموالهم الكافرون، ومن على اثرهم ويود أن يلحق بهم ليفوز بمرادهم من اللاحقين يُخرجه من دياره وأمواله شرع ربه، فلا يخرج إلا لأمر طلبه الله، ولا يفعل بماله إلا شيئاً يطابق شرع الله ويحوز به رضاء الله.

لأن أهل الدنيا المقيمين فيها يظنون أن المال مالهم يُنفقون منه كما يشاءون، ولو كان الأمر كذلك فلِمَ يُحاسبون عليه؟! لكن المال مال الله:

﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ ﴾ (٧الحديد).

كيف نُنفق؟ حدد الإنفاق، وطريقة الإنفاق في كتاب الكريم الخلاق، وفي سُنة النبي ﷺ، وفي هدى الصحب والرفاق رضوان الله ﷻ عنهم أجمعين.

إذاً معنى الخروج هنا أن أُحكِّم شرع الله ورسوله في نفسي وفي بيتي وفي مالي، قال النبي ﷺ:

{ لا يَدْخُلْ بَيْتَكَ إلا تَقِيٌّ } [٦]

٦٥ معجم الطبراني عن عائشة رضي الله عنها

فتكون الإجابة: سمعنا وأطعنا، وقال الله تعالى:

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (٩٢آل عمران)

فنقول: سمعنا وأطعنا، وهكذا، يجب أن أجعل نفسي ومالي وكلي موافق في كل أحوالي لشرع الله ﷻ.

إذا اشتهت نفسي أمراً دنيوياً:

لا بد أن أستضيء بشرع الملك القدوس حتى أُعطي النفس مناها، أو أحرمها مما تتمناه.

إذا وافق عليه الشرع فبها ونعمت وأشكر الله، وإن لم يوافق الشرع فكلا وألف كلا.

إذاً المؤمن ليس حراً بالكلية في ماله ونفسه وبيته!

وإنما يفعل في كل شيء له أو حوله ما يريد الله، وما يطابق ويوافق شرع الله جل في علاه:

فلو كان معي مال هل أتصرف فيه بالنظم الوضعية الدنيوية الحياتية أم بالنظم الشرعية؟ لو مشيت على هواى فلن يتحقق لي المُنى بل سأحاسب يوم القيامة على كل قرش من أين اكتسبته ... وفيما أنفقته؟ أي هل اكتسبته من حلال أم من حرام؟ ....؟. وهل أنفقته في الحلال أم في الحرام؟.

إذاً يجب أن أعرف المصادر الحلال للاكتساب، والمخارج الحلال للإنفاق، والمصادر الحارم للاكتساب لأتجنبها بالكلية، والمخارج الحرام للإنفاق لأبعد عنها بُعد المشرقين، فإن في الدنيا أقوام يشترون جهنم بأموالهم، وهؤلاء يقول فيهم الله:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةً ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ﴾ (٣٦الأنفال)

ويقول الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ (٣٤ التوبة)

فالذي يُنفق أمواله في المخدرات وفي الزنا والعاهرات وغير ذلك فهذا يشتري جهنم بماله.

إذاً يخرجون من ديارهم وأموالهم لا يشترون بها شهوات نفوسهم، ولا حظوظ أبدانهم، وإنما يبتغون بها كما قالت الآية:

﴿ يَبۡتَغُونَ فَضۡلاً مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنًا ﴾ (٢٩ الفتح)

يريدون بكل ما يملكون، وبكل ما يسكنون فضل الله، ورضوان الله، وتطبيق شرع الله جل في علاه، وهذا صنف من أراد أن يكون منهم فالباب مفتوح، والمعسكر واضح.

دوافع الحب لرسول الله ﷺ

والصنف الثاني:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ ﴾ (٩ الحشر) بنوا داراً في قلوبهم جعلوها لله، طهروها ونظفوها مما سوى الله، ومنعوا دخولها لغير حضرة الله، يوالون الأكوان ومن فيها بأبدانهم وأجسامهم، ولكن جعلوا قلوبهم وخصصوها لإلههم وربهم ﷻ، لم يجعلوا لله في هذا القلب شريك، لأن الله ﷻ ما جعل لرجل من قلبين في جوفه، وقال:

{ أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ }[٦]

لم يسمحوا لأحد أن يشغل هذا القلب في قليل أو كثير، في عظيم أو حقير؛ لأن هذا القلب لله ﷻ، والدنيا وما فيها ومن فيها لا تساوي تعكير القلب والفؤاد؛ لأنها ترحم الإنسان من تحقيق المراد، والله ﷻ وافق أنبياءه ورسله والصالحين والصادقين من عباده أن تكون قلوبهم خالية مما سوى الله:

﴿ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ ﴾ (٨٩ الشعراء)

سليم من الحظوظ والأهواء والميول التي لا تُرضي الله جل في علاه، والتي تُباعد بين المرء وبين حضرة الله.

---

٦٦ صحيح مسلم وسنن ابن ماجة عن أبي هريرة ﷺ

ويملئون هذا القلب والفؤاد بالحب: ﴿ يُحِبُّون ﴾ يُحبون الله حباً جماً، ويُحبون الرسول ﷺ حباً

يملأ شغاف القلوب، ويجعلها تستحضره وتستحضر أوصافه وأعماله في كل وقت وحين؛ ليقتدي به في حياته، لأننا حتى نكون على الصواب لا بد أن يكون رسول الله ﷺ يلوح في القلب على الدوام، لماذا؟ لأن الإنسان لا يخلو من عمل في كل لحظة، وفي كل عمل ينبغي عليه أن يعمل بقول الله:

﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (٢١الأحزاب)

إذا نظر ينبغي أن يُقلده في كيفية النظر، إذا تكلم ينبغي أن يتابعه ويُقلده في كيفية الحديث، إذا أكل ينبغي أن يأكل كما كان يأكل، إذا شرب، إذا مشى ... إذا فعل أي فعل، أو عمل أي عمل ينبغي أن يستحضر الحضرة النبوية وكيف كانت تعمل هذا العمل، ليتابع رسول الله ﷺ، وما فاز الصالحون بما فازوا من الغنائم الإلهية إلا بسر هذه المتابعة لخير البرية، والتي يقول فيها الله ويُقدم النتيجة: (٣١آل عمران)

﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾

فيم نتبعه؟ نتبعه في كل أحواله وحركاته وسكناته.

حتى أن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ - وهو إمام في الشريعة – وصل إليه حديث أن رسول الله ﷺ كان يُحب البطيخ، ولكن لم يصل إليه بسند صحيح كيف كان ﷺ يأكل البطيخ؟ فترك أكل البطيخ، فسُئل عن ذلك، فقال: وصل إليَّ بسند صحيح أنه ﷺ كان يُحب البطيخ، ولكن لم يصل إليَّ بسند أعتمد عليه كيف كان يأكل، فأخاف أن آكل البطيخ مخالفاً لهديه!!.

هذا الأمر ليس فيه إلزام، لكنه ألزم نفسه به من شدة الاتباع، وليستزيد من فضل الله ﷻ بمزيد اتباعه، وليفوز بالخير التام من الله ﷻ في هذا الاتباع، إلى أن وصل إليه أن رسول الله ﷺ كان يقسم البطيخ نصفين، ثم يشق كل قسم على هيئة هلال، ويأكل من اليمين باتجاه اليسار، فأكل متابعاً النبي المختار ﷺ.

متابعة شافية وافية كافية لسيد البشرية ﷺ، وربما لو قيل هذا الكلام لرجل من الذين يدَّعون المدنية في عصرنا هذا فإنهم سيسخرون ويستهزئون، ويقولون أن الذوق العصري قد يتنافى مع الهدى النبوي، وكَذَبُوا، لأن سيدنا رسول الله ﷺ هو الجنتلمان الأعظم لجميع الأنام في جميع العصور، وأستاذ الذوق السليم في جميع الأزمنة ﷺ، لكن الإنسان يحتاج إلى حلاوة الروح لتتم المتابعة بحسب العصر.

الجامدون الواقفون عند الأشياء الحسية لا يستطيعون هضم الحقيقة المحمدية، فهي تحتاج إلى حلاوة الروح حتى يتابع الإنسان رسول الله بحسب الفتوح، فهناك متابعة بحسب ما ورد في الكُتب، وهناك متابعة بحسب ما يرد إلى الإلهام مباشرة من الحبيب المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام.

وإلا – فبالله عليك خبِّرني –كل الأمور التي نراها الآن من المستحدثات، ولم ترد في كتب السُنَّة لأنها لم تكن موجودة في عصره كيف نستخدمها؟ أنعم الله ﷻ على رجال مباشرة من حضرته ﷺ في الكيفية السديدة لاستخدام هذه المعدات وهذه الآلات وهذه المستحدثات لنمشي جميعاً على هذا الهدي في كل زمان ومكان، ويكون هديه ﷺ الذي ينشره رجاله المُمدين منه صالحا لكل زمان ومكان.

﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾

وهذه أعظم صفة تستوجب العطاء من الله، أن يخلو القلب من أي ضغينة أو حقد أو غل أو كره أو غش لكل عباد الله، فشرط المؤمنين:

﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ (٤٧الحجر)

وشرط الغنيمة:

﴿ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ ﴾

لا يجدون حتى الإحساس !!!

قد يكون المؤمنين في البداية عندهم هذه الأوصاف، لكنهم يجاهدون في نزعها، لكن هؤلاء القوم أصبحوا مطهرين منها لا يجدونها، حتى إذا تحدث البعض عنها يستغربون لأنهم لا يجدون هذا الأمر في نفوسهم.

كان الإمام الحسن ﷺ جالساً وقوم يتحدثون عن السهو في الصلاة، وكلٌ يحكي ما يحدث له، فقال لهم: إن ما تتحدثون عنه لا أجده عندي البتة، ولو وُجد ذلك عندي لأن تتقطعني السيوف إرباً إرباً خير من أن يكون هذا الشأن عندي!!

أصبح القلب بين يدي مقلبه على الدوام إن كان في صحو أو في منام، إن كان في صلاة أو في غير صلاة.

ولذلك قال رجل من الصالحين: "ما جُعل الأبدال أبدالاً – مقام من مقام الأولياء – إلا بسخاوة الأنفس وسلامة الصدور" إذا أردت أن تُسرع لك العطايا فحقق سلامة صدرك، فستجد فوراً عطاء ربك ﷻ من حلاوة الطاعة، ومن لذة المناجاة، والخوف من الله، وخشية الله، والخشوع لله، والرحمة والشفقة والعطف والحنان على عباد الله ... تجد كل ذلك ينساب إليك رويداً من الله؛ لأن صدرك أصبح ليس فيه شيء لجميع خلق الله، وهذه صفة أهل الجنة.

ولا يفتح الله ﷻ ميادين أزله، ولا كنوز غيبه، ولا أبواب عطاءه ولا فضله لمن في صدره ولو ذرة من الشحناء لواحد من المسلمين، حتى قبول الأعمال قال فيه ﷺ:

{ تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ }[٦٧]

والشحناء هي البغض والكره والحقد والحسد والغل!!!

كلُّ هذه الشجرة لا بد أن تُزال من جذورها حتى يُكرم المرء من الله ﷻ، فإذا أُزيلت هذه الشجرة من جذورها يكون:

﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.(٩ الحشر)

٦٧ صحيح مسلم وسنن أبي داود عن أبي هريرة ﷺ

الثناء والدعاء للسابقين

والصنف الثالث أو الكتيبة الثالثة: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ ﴾ أول شيء: ﴿ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ (١٠ الحشر) نترضى عن السابقين، ونُثني عن المشايخ والعلماء الأجلاء الذين جاءوا بعد رسول الله إلى زماننا هذا، لا نقدح في أحد منهم، ويكفينا قول الحبيب ﷺ:

{ اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ }[٦٨]

ما لي وما للسابقين الذين وارى الله أجسادهم بالتراب، وأصبحوا عند الله ..! لم أطلع على أعمالهم، ولم أرقب أحوالهم، ولم أجالسهم، ولم تر عيني فعاله، فكيف أحكم عليهم؟!

ذه أقوال من هؤلاء وهؤلاء، والأقوال كما نراها الآن في وسائل الإعلام لا نعلم فيها المُصدق من المُكذب، ووسائل الإعلام هي نفسها وسائل الإعلام، فهل تعلمون الصحيح من الزيف في التاريخ؟ أبداً، لأن الذي كتبها بشر، فالذي كان ينتمي للإمام علي ﵁ أثنى على الإمام علي ومدح الإمام علي وزاد في مدح الإمام علي، وبغَّض معاوية وأفعال معاوية، وهكذا.

إذاً ما لنا وما لهذه الأمور، وقد كان بنو أمية يجعلون خطبة الجمعة الثانية في ذم الإمام علي، حتى جاء سيدنا عمر بن عبد العزيز ﵁ فألغى ذلك، يحكي ﵁ فيقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وعن يمينه سيدنا أبو بكر، وعن يساره سيدنا عمر يجلسون في بهو قصر، وخلفهم ستارة، فجاء الإمام علي وسلَّم ودخل خلف الستارة، وجاء معاوية وسلَّم ودخل خلف الستارة، والستارة كان فيها محكمة، ثم خرج الإمام علي بعد حكم المحكمة وقال: قُضي لي ورب الكعبة، وخرج بعده معاوية وقال: غُفر لي ورب الكعبة، إذاً ما شأننا وشأن هذا الأمر، ثم قال ﵁ قولته المشهورة: "قوم لم نشهدهم بسيوفنا ننزه عن الخوض فيهم بألسنتنا".

---

٦٨ سنن الترمذي وأبي داود عن عبد الله بن عمر ﵄

نحن لم نحضر هذه الحروب، ولم ندخل هذه المعارك!، فلِمَ ندخل في خصومة مع أحد هؤلاء؟

وأنت لو تكلمت على أي إنسان من الأحياء أو الأموات فإن المحكمة الإلهية تُسجل لك مباشرة هذه الخصومة، وتُرفع عليك يوم الدين، ما لنا وما للسابقين!!

هم رجال لهم ما لهم وعليهم ما عليهم!!

والمحاسب هو الحسيب ﷻ، وأنا ما عليَّ أن أقرأ وأُحكِّم عقلي وفكري وأستعين بالرجال أهل الخبرة في هذا المجال، وآخذ ما يروقني، وأترك ما لا يروقني بدون نقد أو تجريح أو تشهير!

لكن لا يجوز الآن لمسلم أن يُشهر برجل من المسلمين كان عالماً وملأ الأرض علماً في زمانه! حتى لو كان في زمانك لا ينبغي التشهير به، بل يجب أن تجالسه وتحادثه وتعرف حجته قبل أن تتكلم عنه، لكن كيف تتكلم عن الذي دخل في التراب، ومن يفعل ذلك فقد دخل في قول الله:

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتۡ أُمَّةٞ لَّعَنَتۡ أُخۡتَهَا ﴾ (٣٨ الأعراف)

وهذا لا يجوز أبداً فينا جماعة المسلمين.

سعة الصدر للمعاصرين

نحن نُثني ونترضى عن المسلمين أجمعين من أول سيدنا رسول الله ﷺ إلى المعاصرين، ونقول عن السابقين كما قال الله:

﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾

والمعاصرين نقول فيهم:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (١٠ الحشر)

الإسلام دين واسع، هذا اختار فكرة فهو حر، وهذا اختار فكرة أخرى فله ذلك، لكن ليس لهذا ولا هذا حق في أن يتعصب لرأيه، اخترت رأياً وتريد أن تعمل به فلا مانع ما دام من دين الله وشرع الله، لكن لا تُجبر غيرك على العمل برأيك، ولا تعتقد أن رأيك الصواب ورأي غيرك الخطأ، وهذه هي الآفة التي ظهرت في عصرنا هذا؛ أن كل طائفة تظن أنها هي التي على الحق والباقي على الباطل، وأن رأيها وحده هو الصواب والآخرين كلهم رأيهم مُجانب للصواب، بل وصل الأمر إلى أكثر من ذلك، فقد وصفوا المُخالفين لهم بأنهم غير مسلمين وأنهم كفار!، مع أن هذا الحكم لا ينبغي إلا للواحد القهار، وعاتب النبي ﷺ أصحابه على ذلك عتاباً شديداً عندما قتل أحدهم من قال: (لا إله إلا الله) وقال لرسول الله: يا رسول الله لقد قالها خوفاً من السيف، فقال ﷺ:

{ أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ، حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا؟ }[٦]

---

٦٩ الصحيحين البخاري ومسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه

فكيف نحكم على القلوب ونقول هذا كفر، وهذا غدر، وهذا مخالف لدين الإسلام، بأي شرعة هذا؟! لم يفعل هذا إلا الخوارج الذين خرجوا على أصحاب رسول الله، وهم الشرذمة التي بدأت بهذا النهج الخاطيء الذي انتشر في عصرنا الآن في هذه الحياة.

لكن المؤمن لا يخوض في السابقين، ولا يخوض في المعاصرين، وإنما ما داموا كلهم مؤمنين لا أستمع للأقوال إلا إذا كانت من ألسن هؤلاء الرجال، قد أصبحنا في عصر تتفنن وسائل الإعلام في تزييف الكلام لرغبة خفية، يريدون من الناس أن تكره هذا الرجل، كمن قرأ قول الله ﴿ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ (٤٣ النساء) ولم يكمل، كذلك هم يأتون بجزء من كلام القائل يُسيء إليه ولا يُكملون باقي الكلام، ولذلك لا ينبغي علينا أن نُشنع على عالم سابق أو معاصر إلا إذا سمعنا الحوار كامل، وإن وجدنا أننا لا نرتاح لكلامه يجب أن نكلمه حتى يُقنعنا.

لذلك يجب علينا جميعاً أن نتوقف عن هذا الأمر، لا نُشنع على المعاصرين، ولا نخوض في السابقين، فما داموا يؤمنون بالله، ويُصدقون برسول الله، وخاصة إذا كانوا من العاملين في ميدان الدعوة إلى الله ﷻ، ولا شأن لنا بالنوايا، لأن الطامة الكبرى في هذا الزمان أن الناس يدخلون في النوايا، فالنوايا لا يعلمها إلا الله، وكما ورد: " لنا الظاهر والله ﷻ يتولى السرائر "[٧٠].

فلا ينبغي أن نتعدى حدودنا ونتحدث عن سرائر الخلق، لأن السرائر ملك للملك الحق، لكننا نتكلم بحسب الظاهر فقط ونعمل بقول الله:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١٠ الحشر)

---

٧٠ المقاصد الحسنة فيما اشتهر على الألسنة للسخاوي

إذا جاهد الإنسان نفسه في التخلق بهذه الأخلاق، بجملة منها، أو بواحدة منها، أو بها كلها وصفَّى قلبه لله، فإن الله ﷻ يتولاه ويخصه بعطاياه، وليس مهماً أن يكون هذا المرء منذ بدايته كان مع الله، فقد يكون في بدايته ليس على المنهج القويم، أو ليس على الصراط المستقيم.

الدكتور عبد الحليم محمود رحمة الله عليه حقق كتاب الرسالة القشيرية للإمام القشيري، هذه الرسالة تنقسم إلى شقين، شق أورد فيه بعض سِيَر العارفين السابقين، وشق عرض فيه أقوال العارفين مصنفة على هيئة موضوعات يتعلق بها الصالحين كموضوع المحبة، وموضوع الرضا، وموضوع الصبر وغيرها، يقول الدكتور عبد الحليم: لحكمة الإمام القشيري بدأ روايات الصالحين في كتابه بقصة الفضيل بن عياض لأنه كان في بداية حياته يشتغل باللصوصية حتى يفتح باب التوبة للعصاة من أمة محمد، ويُعرفهم أنه لا حرج على فضل الله، ثم ثناها بحكاية إبراهيم بن أدهم لأنه كان ابن ملك من الملوك حتى يُعرفنا أنه لا يمنع الثراء من أن يمشي المرء مع الصالحين والصادقين من الفقراء، هذا منهج الله في هذا الأمر، المهم أن تأتيه الواردات الإلهية.

الفضيل بن عياض

الفضيل بن عياض رجل وُلد في بلاد فارس ولكن من أسرة عربية، وكان أبوه رجل تقي نقي ولكنه مات، وبعدما كبر الفضيل اشتغل قاطع للطريق، وكوَّن له عصابة، وكانوا يقفون على طريق بين بلدتين يقطعون الطريق على السائرين بالليل، وكان يحب امرأة، وذات يوم كان يتسور الجدار لينزل لها فشاءت إرادة الله أن تقلب حياته ليكون بعد ذلك ولياً من أولياء الله: "إذا سبقت العناية لا يضرك الجناية" "ملك الملوك إذا وهب لا تسألن عن السبب" فسمع إما هاتفاً أو قاريء، وإذا أراد الله ﷻ تغيير عبد بدأ بأن يوصل له الهواتف الإلهية لقلبه، فسمع هاتفاً يقول:

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ (١٦الحديد)

فقال: آن يارب، وقعد على الجدار ولم يستطع أن يتحرك كأنما أصابه فالج، فأنزله رفاقه، وذهبوا به إلى موضع، وإذا بقوم مجتمعين فيه خائفين يتشاورون، بعضهم يقول: نمشي، والبعض يقول: لا فالفضيل على الطريق، فقال لهم: لا تخافوا الفضيل قد تاب إلى الله ﷻ وأناب.

ثم جاء بعد ذلك ليرينا الطريق إلى الفتح، وإلى الغنائم الإلهية، وهذا الطريق هو الذي سلكه الفضيل، وهو الذي سلكه الجيلاني، وهو الذي سلكه الرفاعي، وهو الذي سلكه البدوي، وهو الذي سلكه الشاذلي ... ولو تتبعت حياتهم ستجد نفس هذه الخطوات بالتفصيل.

أول الطريق الذي سلكه الفضيل هو أن توجَّه إلى الكوفة ليتعلم العلم الشرعي، وكلهم على هذه الكيفية، فأول الطريق العلم لكيلا يعبد الله ﷻ على جهل، فحصَّل العلم الشرعي، واهتم بعلم الحديث ولا زال يُحصله حتى برع فيه وصار مُحدثاً.

بعد ذلك أراد أن يتعبد إلى الله، فالخطوة الثانية العبادة لكن بعد العلم، ومع العبادة جعل له عملاً يكتسب منه رزقه، ويتصدق حتى لا يصير عالة على خلق الله، فلا يصح أن أترك العمل وأجلس في صحراء وأنتظر من الخلق أن يُعيلوني، أين العزة في ذلك؟!

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٨المنافقون)

العزة تقتضي عمل يأكل منه، ويُنفق على من يعوله، ويتصدق على الفقراء والمساكين ليسير على منهج النبي ﷺ.

فمارس عملاً يكتسب منه رزقه، لكنه وجد أنه لن يُصلح شأنه، ولن ينال المغانم الروحانية التي يطلبها إلا إذا ذهب إلى مكة المكرمة!

فذهب إلى مكة واستوطن مكة ليتعبد إلى الله ﷻ فيها.

وهناك – كبقية الصالحين - كان أهم ورد له إلى الله تلاوة كتاب الله، لكنه كان يقرأ كتاب الله كأن رجلاً يخاطبه بلسانه، فإذا تلا قول الله:

﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ﴾ (١٧لقمان)

كأن الخطاب له، ويقرأ ويُسمع نفسه بأن الخطاب لنفسه، فكان يتلو بهذه الكيفية تلاوة خاشعة، قراءة يقول فيها الله ﷻ:

﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴾ (٣ العلق)

والواو واو المعية أي اقرأ مع ربك، اقرأ القرآن كأن ربك يقرأ عليك القرآن، هذه القراءة يكون فيها استمداد من معاني كلام الله، واستضاءة من نور كلام الله جل في علاه، إياك أن تقرأ وتبحث عن الكم، حضرة النبي ﷺ كان يقرأ في الليلة آية واحدة ويظل يرددها، لماذا؟ لأنه كلما ردد جاءته معاني جديدة.

وكان الفضيل يحتاط لنفسه – وهذا أمر جوهري لمن يريد فضل الله وإكرام الله – بالزهد والورع، لو كانت عينك على الدنيا والآخرة فلن تحصل على أي منهما:

لكن تريد الآخرة وتُقبل عليها بالكلية، وتمشي في الدار الدنيوية بسكينة وهدوء معتمداً على رب البرية، فإن الدنيا ستمشي خلفك وتعطيك مناك، لكن لا تجعلها تدخل قلبك، لأنها إذا دخلت في القلب فإنها ستُسخر كل الجسم لها، وبعد ذلك لن تتلذذ بطاعة، ولا تجد طعم للعبادة، ولن تجد خشية ولا خشوع لأن كل البال مشغول بالدنيا وما فيها ومَن فيها.

الورع منهج الصالحين، والورع معناه البعد عن الشبهات، والشبهات هي التي اختلف فيها الناس، فالبعض يقول حلال، والبعض يقول حرام، والورع هو البعد عن هذه الشبهات، حتى أطمئن إلى أحل الحلال، ولذلك قال ﷺ:

{ كُنْ وَرِعًا تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ }[٧١]

وظل الفضيل يسير على هذا المنهاج ويتعبد حتى فتح عليه الفتاح ﷻ بعلومه ومعارفه وصار من كبار أولياءه!!

حتى صار في زمانه الذي كان فيه يسعى إليه الخليفة، وهو هارون الرشيد الذي كانت مملكته من بلاد الصين إلى المغرب، والذي كان يجلس في ساحة قصره وتمر السحابة فيقول لها: امطري حيث شئت فسيأتيني خراجك!

---

٧١ سنن ابن ماجة والطبراني عن أبي هريرة ﷺ

هارون الرشيد هو الذي كان يذهب إليه، ذهب إلى مكة ذات مرة، وكانت عنده مسألة يريد حلها، فطلب من وزيره أن يأتيه بمن يحلها، فجاءه بعالم فلم يجد عنده ما يُشفي غليله، ثم قال للعالم هل عليك دَين؟ قال: نعم، فأمر بسداد ديونه، وجاءوا بعالم آخر، وحدث معه نفس الأمر، وفي النهاية ذهبوا إلى الفضيل، فطرق الوزير الباب، فقال الفضيل مَن: قال أنا فلان ومعي أمير المؤمنين، فقال: ما لي وما لأمير المؤمنين، ثم فتح الباب وأطفأ المصباح!

فقال الوزير: أليس لأمير المؤمنين حق عليك؟ فقال ﷺ: قال ﷺ:

{ لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ }[٧٢]

فقال له: لِمَ أطفأت المصباح؟

قال: حتى لا أرى وجه ظالم!

ثم بحث عنه هارون حتى سلم عليه، وقال له: انصحني، فأخذ ينصحه بأحوال عمر بن عبد العزيز، وأحوال الصحابة البررة الكرام، إلى أن نزلت دموعه.

حتى نعرف أيضاً أن هؤلاء القوم كان فيهم صلاح، وكانوا يبحثون عن النصيحة من العلماء، وكانوا يذهبون إليهم.

وبعد أن انتهت النصيحة أعطاه كيس فيه ألف دينار، فقال له: ماذا أصنع به؟ أنا انهاك عن غش الرعية وأنت تغشني!!

ورفض أن يأخذ منه العطاء، فقال هارون لوزيره:

إذا أردت أن تدلني على رجل من الصالحين فدلني على مثل هذا!.

أنا أذكر ذلك حتى نرى أين كان هذا الرجل؟

٧٢ سنن الترمذي وابن ماجة عن حذيفة ﷺ

وكيف أصبح؟

حتى نعرف أنه لا حرج على فضل الله، وعطاء الله لا يُعد، ورزق الله لا يُحد، ولا شأن لنا بالأمس لأن الله ﷻ هو الذي بيده الأمس واليوم والغد، ويعلم ﷻ خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، ولو أراد إنسان تحقيق مُنى، وعلم الله ﷻ فيه خيراً أمضاه، فيجب أن لا نستكثر الخير على عباد الله، وهذا الذي جعل الصالحين دائماً كانوا يبحثون عن توبة الظالمين، وتوبة العصاة والمذنبين، وكانوا الفئة الوحيدة التي تذهب للبلطجية ويردونهم إلى دين الله ﷻ، لأنهم يعرفون أن الله ﷻ واسع الفضل، وواسع المغفرة، وعظيم الكرم ﷻ.

إذاً إذا أردنا الفتح:

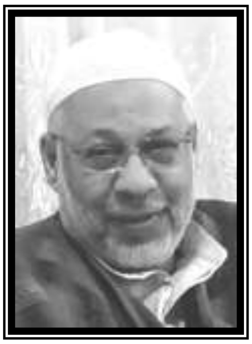
- لا بد من مزيد العلم والمعرفة بشرع الله ﷻ، حتى نعبد الله على علم.
- ويكون لنا باب نكتسب منه الرزق الحلال.
- ثم نتدرع بالورع والزهد.
- ونُقبل على العمل الصالح الذي يُحبه الله ويرضاه.
- ونُقبل على كتاب الله تلاوة بخشوع، وعمل بخضوع.

نسأل الله ﷻ أن يُعيننا على ذلك، وأن يؤهلنا بذلك لكل خير وفضل، وأن يُنجينا من جميع الآفات والمهالك.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

****************** **تمَّ بحمد الله تعالى**

ترجمة المؤلف فضيلة الشيخ فوزي محمد أبوزيد



۞ نبذة: ولد فضيلته في ١٨ أكتوبر ١٩٤٨م، الموافق ١٥ من ذى الحجة ١٣٦٧هـ بالجميزة، مركز السنطة، غربية، ج م ع، وحصل على ليسانس كلية دار العلوم من جامعة القاهرة ١٩٧٠م، ثم عمل بالتربية والتعليم حتى وصل إلى منصب مدير عام بمديرية طنطا التعليمية، وتقاعد سنة ٢٠٠٩م.

۞ النشاط: يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بمصر، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى بالقاهرة، ولها فروع في جميع أنحاء الجمهورية.، كما يتجول بمصر والدول العربية والإسلامية لنشر الدعوة الإسلامية، وإحياء المُثل والأخلاق الإيمانية؛ بالحكمة والموعظة الحسنة. هذا بالإضافة إلى الكتابات الهادفة لإعادة مجد الإسلام، من التسجيلات الصوتية الكثيرة والوسائط المتعددة للمحاضرات والدروس واللقاءات على الشرائط والأقراص المدمجة.

وأيضا من خلال موقعه على شبكة الإنترنت (والجارى تطويره للمرة الثالثة) www.Fawzyabuzeid.com وقد أصبح الموقع بحمد الله وجهود الأحباب التطوعية أحد أكبر المواقع الإسلامية فى بابه، وجارى إضافة تراث الشيخ العلمى الكامل على مدى خمسة وثلاثين عام مضت، وللموقع واجهة باللغة الإنجليزية .

۞دعوته: ١- يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات، والعمل على جمع الصف الإسلامى، وإحياء روح الإخوة الإسلامية، والتخلص من الأحقاد والأحساد والأثرة والأنانية وغيرها من أمراض النفس.

٢- يحرص على تربية أحبابه بالتربية الروحية الصافية بعد تهذيب نفوسهم وتصفية قلوبهم.

٣- يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح الدين، وإحياء التصوف السلوكى المبنى على القرآن والسنة وعمل الصحابة الكرام رضى الله عنهم أجمعين.

۞ هدفه : إعادة المجد الإسلامى ببعث الروح الإيمانية، ونشر الأخلاق الإسلامية، وبترسيخ المبادئ القرآنية.

قائمة المؤلفات: ثلاثة وثمانون كتاباً في ست سلاسل

أولا : سلسلة من أعلام الصوفية : عدد ٥ كتب:

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفى(٢ط) ٢- الشيخ محمد على سلامه سيرة وسريرة.،٣- المربى الربانى السيد أحمد البدوى ٤- شيخ الإسلام السيد إبراهيم الدسوقى (٢ط) ٥- الشيخ الكامل السيد أبو الحسن الشاذلى

ثانيا : سلسلة الدين والحياة :عدد ٢٣ كتاب:

٦و٧- نفحات من نور القرآن ج١و٢، (٥) مائدة المسلم بين الدين و العلم.(٢ط) ترجم للإندونسية ٩- نور الجواب على أسئلة الشباب، ١٠- فتاوى جامعة للشباب.١١- مفاتح الفرج (٩ط) (ترجم للأندونسية)١٢-تربية القرآن لجيل الإيمان (٢ط) (ترجم للإنجليزية) ١٣- إصلاح الأفراد و المجتمعات فى الإسلام (٢ط).١٤- كيف يحبُّك الله (يترجم للأندونيسية والإنجليزية)، ١٥-كونوا قرآنا يمشى بين الناس (مترجم بالإنجليزية على الموقع، ويترجم للأندونيسية)،١٦- المؤمنات القانتات ١٧-فتاوى جامعة للنساء، ١٨- قضايا الشباب المعاصر، ١٩-زاد الحاج والمعتمر (٢ط)، (٦٧) بنو إسرائيل ووعد الآخرة، (٧١) الصيام شريعة وحقيقة، (٧٢) إكرام الله للأموات، (٧٣) جامع الأذكار والأوراد،(٧٤) الحب والجنس فى الإسلام، (٧٥) أمراض الأمة وبصيرة النبوة،(٧٦) فتاوى فورية ج١، (٨٠) فتاوى فورية ج٢، (٨١) سؤالات غير المسلمين، (٨٢) حوارات الإنسان المعاصر.

ثالثاً: سلسلة الخطب الإلهامية: عدد ٧ كتب:

مج ١: المناسبات الدينية: طبعة مجزأة، وطبعة مجلد واحد (٢ط) ٢٠- ج١: المولد النبوى. ٢١- ج٢: الإسراء و المعراج. ٢٢- ج٣ : شهر شعبان و ليلة الغفران، ٢٣-ج٤: شهر رمضان و عيد الفطر. ٢٤- ج٥: الحج و عيد الأضحى. ٢٥-ج٦: الهجرة و يوم عاشوراء،٢٦- الخطب الإلهامية :مج١:المناسبات الدينية (٣ط).

المجلد الثانى : الخطب الإلهامية العصرية : عدد ١ كتاب

(٧٨) الأشفية النبوية للعصر.

ثالثا :سلسلة الحقيقة المحمدية: عدد ٨ كتب:

٢٧- حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق (٣ط). ٢٨- الرحمة المهداة. ٢٩-٣٠ إشراقات الإسراء:ج١(٢ط)،ج٢، (٢٢)- الكمالات المحمدية،٣٢- واجب المسلمين المعاصرين نحو رسول الله (٢ط) (ترجم للإنجليزية).٣٣-السراج المنير، (٧٠) ثانى اثنين.

رابعا : سلسلة الطريق إلى الله: عدد١٣ كتاب:

٣٤- أذكار الأبرار. ٣٥- المجاهدة للصفاء و المشاهدة ٣٦- علامات التوفيق لأهل التحقيق. ٣٧- رسالة الصالحين.٣٨- مراقى الصالحين. ٣٩- طريق المحبوبين و أذواقهم.٤٠- كيف تكون داعياً على بصيرة. ٤١- نيل التهانى بالورد القرآنى.٤٢- تحفة المحبين ومنحة المسترشدين فيما يطلب فى يوم عاشوراء للقاوقجى (تحقيق).، ٤٣- طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين(ترجم للأندونسية).٤٤- نوافل المقربين.(٦٤)أحسن القول.، (٧٩) دعوة الشباب العصرية للإسلام.

خامسا: سلسلة دراسات صوفية معاصرة: عدد ١٦ كتاب

٤٥- الصوفية و الحياة المعاصرة. ٤٦- الصفاء والأصفياء.٤٧- أبواب القرب و منازل التقريب.،(٢٩)- الصوفية فى القرآن والسنة (٣ط) (ترجم للإنجليزية ومنشور على الموقع). ٤٩- المنهج الصوفى والحياة العصرية. ٥٠- الولاية والأولياء.٥١- موازين الصادقين. ٥٢- الفتح العرفانى.٥٣- النفس وصفها وتزكيتها.٥٤- سياحة العارفين.٥٥-منهاج الواصلين.(٦٥) نسمات القرب.(٦٨) العطايا الصمدانية للأصفياء.(٦٩) الأجوبة الربانية في الأسئلة الصوفية، (٧٧) شراب أهل الوصل.، (٨٣) مقامات المقربين.

سادساً: سلسلة شفاء الصدور: عدد ٩ كتب:

٥٥- مختصر مفاتح الفرج (٤ط). ٥٦- أذكار الأبرار (٣ط)، ٥٧- أوراد الأخيار (تخريج وشرح).(٢ط)، ٥٨- علاج الرزاق لعلل الأرزاق (٢ط).٥٩- بشائر المؤمن عند الموت (٣ط)، ٦٠ - أسرار العبد الصالح وموسىﷺ(٢ط)،٦١- مختصر زاد الحاج والمعتمر. (٦٣) بشريات المؤمن في الآخرة.(٦٦) بشـــائر الفضل الإلهي.

أين تجد مؤلفات فضيلة الشيخ فوزى محمد أبوزيد

إسم المكتبة	رقم الهاتف	القاهـــرة
مكتبة المجلد	٢٥٩١٢٥٢٤	١١٦ شارع جوهر القائد الأزهر
مكتبة الجندي	٢٥٩٠١٥١٨	سوق أم الغلام ميدان الحسين
دار المقطم	٢٧٩٥٨٢١٥	٥٢ شارع الشيخ ريحان،عابدين
مكتبة جوامع	٢٥٨٩٨٠٢٩	١٧ الشيخ صالح الجعفرى الدراسة
مكتبة	٢٥٩٠٤١٧٥	١ عمارة الأوقاف بالحسين
بازار أنوار	٠١٢٢٧٤٧٥٩٣١	٢ زقاق السويلم خلف مسجد الحسين
مكتبة	٢٥٩١٥٢٢٤	١١ ميدان حسن العدوى بالحسين
الفنون	٢٥٩٠٠٧٨٦	١٣٠ شارع جوهر القائد بالدراسة
مكتبة	٢٥٩٠٢٥٤١	٢٢ شارع المشهد الحسينى بالحسين
مكتبة القلعة	٢٥١٠٨١٠٩	١ شارع محمد عبه خلف الأزهر
مكتبة نفيسة	٢٥١٠٤٤٤١	٩ ميدان السيدة نفيسة .
المكتب	٢٣٩٣٤١٢٧	عمارة اللواء ٢ شارع شريف
الأديب كامل	٢٣٩٦١٤٥٩	٢٨ شارع البستان بباب اللوق
مكتبة دار	٣٣٣٥٠٠٣٣	١٠٩ شارع التحرير، ميدان الدقي
مكتبة مدبولى	٢٥٧٥٦٤٢١	٦ ميدان طلعت حرب
مدبولى مدينة	٢٤٠١٥٦٠٢	طيبة ٢٠٠٠، شارع النصر مدينة نصر
النهضة	٢٣٩١٠٩٩٤	٩ شارع عدلى جوار السنترال
هلا للنشر	٣٣٤٤٩١٣٩	٦ شارع د. حجازي، خلف نادي الترسانة
المكتبة	٠١٠٠٥٠٤٢٧٩٧	درب الأتراك، خلف الجامع الأزهر
مكتبة أم	٢٥٨٩٨٢٥٣	١٢٨ شارع جوهر القائد الأزهر
المكتبة	٢٥٩٣٤٨٨٢	٩ شارع الصنادقية بالأزهر
مكتبة	٢٦٤٤٤٦٩٩	٢١شارع د.أحمد أمين، مصر الجديدة
		الإســـكندرية
كشك سونا	٠١٢٢٤٦٠٩٠٨٢	محطة الرمل، أمام مطعم جاد
الكتاب	٠١٠٠١٢٣٢٦٩٨	محطة الرمل، صفية زغلول
كشك محمد	٠١١١٤١١٤٣٠٠	٦٦ شارع النبى دانيال، محطـة مصر
مكتبة الصياد	٠٣-٣٩٢٨٥٤٩	٤ ش النبى دانيال، محطة مصر
مكتبة سيبويه	٠٣-٥٤٦٢٥٣٩	٢٣ المشير أحمد إسماعيل، سيدى جابر
الكشك	٠١٢٨٨٣٤٣٥٥٥	محطة الرمل- أ/ أحمد الأبيض
		الأقـــــاليم
كشك عبد	محمد -------	الزقازيق- بجوار مدرسة عبد العزيز على
مكتبة عبادة	٠٥٥-٢٣٢٦٠٢٠	الزقازيق – شارع نور الدين
مكتبة تاج	٠٤٠-٣٣٣٤٦٥١	طنطا- أمام مسجد السيد البدوى
مكتبة قربة	٠٤٠-٣٣٢٣٤٩٥	طنطا- ٩شارع سعيد والمعتصم أمام كلية
كشك التحرير	٠١٠٠٨٩٣٥١٨٢	كفر الشيخ - شارع السودان أمام السنترال، أ/سامى أحمد عبد السلام

مكتبة صحافة الجامعة	٠١٠٠٢٢٨٥٢٥٣	المنصورة - شارع جيهان بجوار مستشفى الطوارىء أ/عماد سليمان
مكتبة الرحمة	٠١٠٠١٤٢١٤٦٩	المنصورة، عزبة عقل، ش الهادى،
مكتبة صحافة الثانوية	٠١٠٠٥٧٣١٥٥٠	المنصورة- شارع الثانوية بجوار مدرسة ابن لقمان، الحاج كمال الدين أحمد
صحافة أخبار اليوم	٠١٢٢٤٩١٧٧٤٤	طلخا – المنصورة- بجوار مدرسة صلاح سالم التجارية، أمام كوبرى طلخا
مكتبة الإيمان	٠١٢٢٦٤٦٨٠٩٠	فايد- أ حماده غزالى بربرى
كشك	٠١٢٢٧٩٦٠٤٠٩	السويس،ش الشهداء، ح حسن محمد
أولاد	٠٩٣-٢٣٢٧٥٩٩	سوهاج- شارع احمد عرابي أمام التكوين
كشك أبو	٠١٠٦٩٥١٨٦١٦	قنا- أمام مسجد سيدي عبد الرحيم القناوى
كشك بالقرايا- اسنا	٠١٠٠٨٦٩٨٦٦٤	القرايا- إسنا - ش السيدة زينب- الحاج محمد الريس والأستاذ محمد رمضان محمد النوبى
كشك حسنى باسنا	٠١١١١٤٩١٨٢٣	كشك حسنى محمد عبد العاطى المنسى أمام مستشفى الرمد باسنا - الأقصر

أيضاً بدور الأهرام والجمهورية والأخبار و دار الشعب والقومية ومن المكتبات الكبرى الأخرى بالقاهرة والجيزة والأسكندرية والمحافظات. ويمكن أيضاً الإطلاع إليكترونيا على أغلب الكتب وتنزيلها مجانا كما طبعت من على موقع الشيخ www.fawzyabuzeid.com، وهى منشورة أيضاً على أكبر موقع علمى للكتاب العربى على النت www.askzad.com، ويمكن طلبها من الناشر: **دار الإيمان والحياة، ١١٤ ش ١٠٥ حدائق المعادي بالقاهرة،**

الفهرس

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لملاحظات القارىء الكريم:

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....



مقامات المقربين

إن من إكرام الله تعالى لعباده المؤمنين أنه يرفعهم عنده درجات كلما أنابوا إليه وأكثروا من عمل الصالحات، ويثبتهم على الاستقامة عليها، ويجعل لهم النيات حتى تصير أرواحهم ترتقى دوما فى مقامات القرب عند الله، من درجات العندية أو فى مقام المعية أو فى حضرة اللدنية، حيث يتلقون أسراره الوهبية ﴿وعلمناه من لدنا علما﴾ (الكهف ٦٥).

ويصطفى الله عز وجل أفرادا من عباده المتقين ينقلهم من مقام المخلصين إلى مقام المخلصين، ومن مقام المحبين إلى مقام المحبوبين، ومن مقام المريدين إلى مقام المرادين، ويجعلهم هم الدرجات التى يعتليها ويصل إليها ويقف عندها المقربون، ليتأهلوا منهم وعلى أيديهم للقرب من حضرة رب العالمين لقوله تعالى فى شأنهم ﴿هم درجات عند الله﴾ (آل عمران ١٦٣).

وقد بينا هنا بعض درجات المقربين فى سلوكهم وسيرهم إلى رب العالمين ليعمل بها العاملون ويمشى على هديها السائرون.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الأطهار، وأن يواجهنا بمعانى غيبه المدرار، وأن يفيض علينا من قدسه الأسرار، ويهبنا صحيح العبودية، وخالص التوحيد لحضرة الألوهية والمتابعة التامة لخير البرية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

من مؤلفات الشيخ فى هذا الموضوع:

المنهج الصوفى والحياة العصرية، الولاية والأولياء، العطايا الصمدانية للأصفياء، طريق المحبوبين وأذواقهم، طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين، الفتح العرفانى، سياحة العارفين، نسمات القرب، شراب أهل الوصل، منهاج الواصلين ..... وغيرها.

القائمة الكاملة لمؤلفات الشيخ فوزى محمد أبوزيد بداخل الكتاب
مع قائمة بالمكتبات ودور النشر
تطلب من دار الإيمان والحياة ١١٤ شارع ١٠٥ المعادى، ت: ٢٥٢٥٢١٤٠٠ القاهرة

زوروا موقع الشيخ WWW.Fawzyabuzeid.com